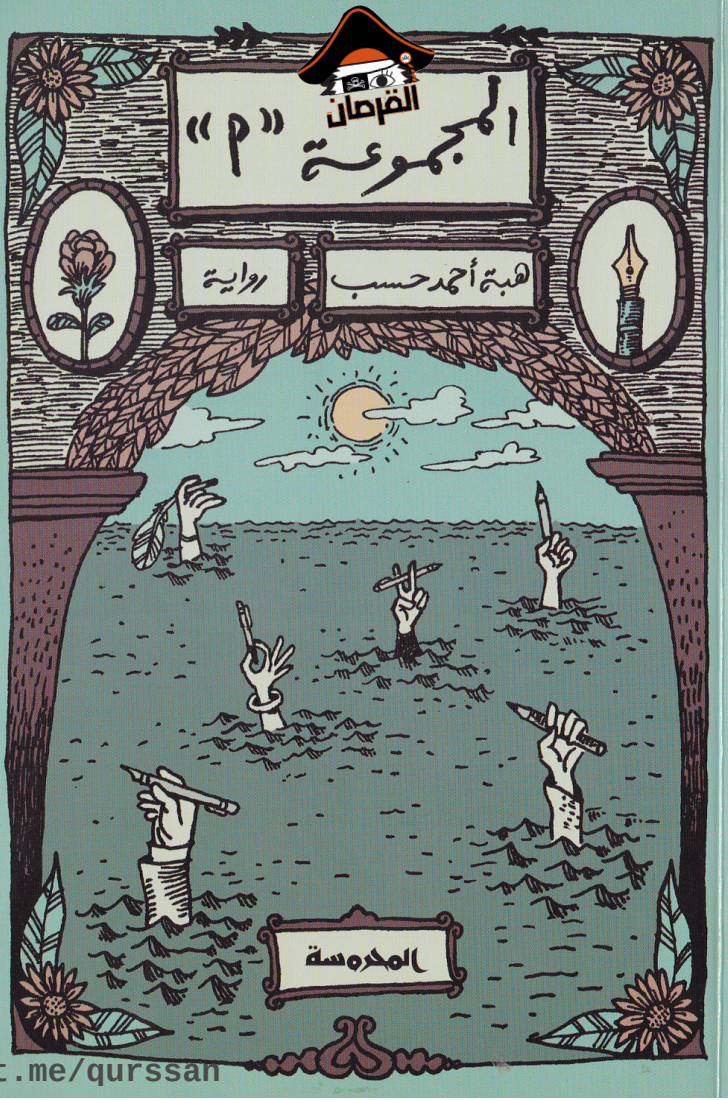

القرصان
t.me/qurssan

رواية

المجموعة "أ"

هبة أحمد حسب

عنوان الكتاب: المجموعة "أ"
المؤلفة: هبة أحمد حسب

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف: 002 02 28432157-

facebook/almahrosacenter
twiter: @almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
e.mail: info@mahrousaeg.com
e.mail: mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٥٢٧٦/ ٢٠١٨
الترقيم الدولي: 978-977-313-752-6
جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة لمركز المحروسة
2019

t.me/qurssan

رواية

المجموعة "أ"

هبة أحمد حسب

طبعة المحروسة 2019

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

حسب، هبة أحمد

المجموعة "أ": رواية/ هبة أحمد حسب.-

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2018

210ص؛ 13.5×19.5سم.

تدمك 978-977-313-752-6

1 - القصص العربية

أ- العنوان

813

رقم الإيداع ٢٠١٨/٢٥٢٧٦

t.me/qurssan

إهداء

إلى أحمد.. طاقةِ نورِ الأمس وامتداد وجود الأبد
إلى الحسن.. رابطة وثّقت ما هو كائن وخلقت ما لم يكن بَعدُ
إلى خديجة.. نورِ عينيّ حين أغمض، ونبضِ قلبي حين أموت

t.me/qurssan

تنويه هام

شخصيات المجموعة "أ" حقيقية، تعيش معنا وحولنا. أي تناص بين شخوص الرواية أو أحداثها وبين أشخاص موجودين من حولك أو في دائرتك، إنما هو من قبيل المصادفة القدرية.

المهم ألا يكون التناص مع حياتك أنت، وألا تجد نفسك داخل أحد هؤلاء الشخوص، وإلا فلن أعدك بنهاية مختلفة عن النهايات المطروحة هنا.

هبة

t.me/qurssan

جمال بربنط (31 مايو 2016)

رائحة البخور تتصاعد من غرفة إسماعيل على غير العادة. لم أستيقظ يومًا على هذه الرائحة الفجَّة مذ سكنتُ معه قبل عشرين سنة. أرى الضوء الخافت يتسلل من تحت عقب بابه الموصد وتنساب معه أبخرة الدخان. اقتربت من الباب ونقرته ثلاثًا كما أفعل كل صباح، ولكنه اليوم لم يفتح، نقرته ثانية ولم يفتح. ظننته يُصلِّي. ذهبت لإحضار الإفطار وعدتُ لأنقر الباب للمرة الثالثة ولكنه لم يفتح أيضًا.

خالجني شعور بالقلق، فلربما هو يعاقب أحد أفراد المجموعة، وينوي أن يعتزل في غرفته لعدة أيام -كما يفعل من حينٍ إلى آخر- فأردتُ أن أقطع عزلته، فلكم يحب هو همهماتي وإشاراتي التي تجعله يضحك منِّي، وينادينني بجملته المحببة: "أخرس بس رغاي!".

فتحتُ الغرفة برفق، فإذا به مستلقٍ على سريره يولي ظهره ناحية الباب، توجهتُ إلى الناحية الأخرى من السرير كي أرى عينيه إن كان نائمًا أو مستيقظًا. كان يرتدي جلباب النوم الأبيض وعيناه جاحظتان، وذلك السكين الأزرق الكبير مغروسٌ في قلبه حتى آخر النصل، وصدر الجلباب وبطنه تلونا باللون الأحمر.

لم أدرِ ما أفعل. درتُ حول نفسي في المكان، لا أعرف عمَّ كنتُ أبحث. هل كنتُ سأجد القاتل مثلًا مختبئًا هنا أو هناك!؟ لا أعرف. لكنني كنتُ مرتبكًا وخائفًا وترتعد فرائصي. كان الأسد الهائج راقدًا و"تتفنجل" عيناه وينظر إلي أنا تحديدًا. لا لا، بل أنا الذي وقفت في اتجاه نظرته الثابتة. كان كل شيء في الغرفة في مكانه تمامًا، لا أثر لأي هرج أو مرج.

خرجتُ من الغرفة تسبقني قدماي، أدور أمام غرف أفراد المجموعة كلهم، أصيح بأعلى ما تمتلك حنجرتي. خرجوا جميعًا فزعين لا يفهمون من همهماتي شيئًا، فلقد تعطَّلت أصابعي عن الإشارة، فقط أصيح وأصرخ و"أتنطط" فوق الأرض وألطمُ خدي، والجميع يقفون مذهولين يتفحصونني وينظرون إلى بعضهم البعض، في محاولة يائسة لاستنتاج ما أقصد.

شددتُ أحدهم من يديه، لا أذكر مَن كان منهم بالضبط، لكنه سار معي في استسلام، وتبعنا الباقون جميعًا... هرولنا معًا إلى حيث أدلُّهم. وقفتُ بباب الغرفة لا أتقدم خطوة، مُشيرًا إلى الداخل وأنا ألطم خدي وأصرخ، والجميع ينظرون إلى حيث أشير، حتى دخلوا جميعًا معًا، وقرروا أن يفهموا بأنفسهم ما لا يستطيعون قراءته من حركاتي السريعة المولولة.

t.me/qurssan

ما هي إلا ثوانٍ حتى انطلقت صرخات البنات، وعلا صوتهن وتداخلت في أذني كلمات الرجال، ورأيتهم بطرف عيني يقلبون جسد الرجل يمينًا ويسارًا، بينما مسكت الفتيات بأيدي بعضهن البعض، وانسحبن إلى ركنٍ خلفيٍّ بالغرفة يراقبن الجثة عن بُعد.

قبل أن أنجذب إلى دائرة المجال المغناطيسي لإسماعيل الصعيدي، كان أهلي وأقربائي في القرية ينادونني باسمي القديم، الذي لم يكن لي غيره "جمال الأخرس ابن الحاج صلاح". كنتُ الطفل الأشطر والأقرب إلى قلب أبي، ولم تكن أمي تتوقع حين اكتشفت عاهتي، أن يأتي اليوم الذي أدخل فيه الكُتَّاب وأحفظ القرآن، بل وأتعلم الكتابة أيضًا. كان ذلك الفضل لأبي الذي باع السبعة القراريط ليشتري لي سمَّاعة نصف عُمر "استلقطها لي" ابن عمه الذي يعيش في الإسكندرية، وكانت فرحة لا توصف، حين زارنا ابن عم والدي في البلد، وأحضر معه السمَّاعة ووضعها الطبيب في أذني. كان أول ما سمعتُ بكاء أمي ونداءها كي تختبر هل أسمعها أم لا. سقطت على ركبتيها في حركة واحدة واضعةً كفيها فوق وجهها وهي تبكي، ثم مدَّت ذراعيها نحوي وخطفتني وهي مغمضة العينين، وأنا بعدُ صغير لا أفهم لماذا هي حزينة! لأنني أخيرًا أسمع صوتها؟!

كان أبي يُجلسني معه ومع أصدقائه كثيرًا. كان يقول لي "لا تفوِّت دقيقة من عمرك يا ولدي متسمعش فيها صوت. نعمة ربنا كان واخدها ورجع حباهالك، يبقى تحطها فوق راسك". كان يضع الراديو الوحيد "إللي حيلتنا في الدار" بجواري وأنا

نائم كي لا تفوت ساعات نومي دون أن أسمع شيئًا. أصبحتُ أحبُّ الاستماع إلى الأشياء، وأحب كوني أبكم أو أخرس كما يناديونني. أصبح الكلام شيئًا بغيضًا لكثرة ما سمعتُ البغض من الآخرين. ولأنني كنتُ سريع الالتقاط والفهم وسريع التعبير بالإشارة، أسماني إسماعيل "بربنط".

أعرفُ إسماعيل قبل أن يخشوشن صوت همهماتي، وتلتف العضلات على ذراعي. بالكاد كانت الشعيرات الدقيقة الرقيقة تتناثر بغير هدى فوق فمي وعلى خدي. عشتُ معه إلى أن تناثرت الشعيرات البيضاء في مقدمة رأسي أيضًا بغير هدى. أعرفه مذ كان ابنًا ذكرًا وحيدًا وسط خمس من الأخوات تكبرنه في السن، وكان له أخٌ شقيق وحيد مات مقتولًا قبل أن يولد إسماعيل، غير أن له ثلاثة من الإخوة الذكور من زوجة أبيه، وهو ما جعلها المفضلة والمدللة لدى أبيه، هي وأبناءها!

عندما ولِد إسماعيل أصرَّ والده الشيخ عبد القادر أن يسميه باسم أخيه المتوفى، أو بالأحرى أخيه المقتول. كانت عائلتهم كلها حزينة على مقتل الصبي الصغير، ولم تعرف الحكومة من قتله ولا فيمَ قُتِل. وذهبت التأويلات إلى أن إحدى العائلات كان لها ثأرٌ عند والده وأخذته من الصبي الصغير، أو ربما استخدمه أحد المنقبين عن الآثار كقربان يفتح به مقبرة، أو أن قتله شخص ما بالخطأ وخاف من الثأر، فتركه في عرض الطريق وجرى. المهم أن لا حقيقة ظهرت في الأمر. وكرهت "فتحية" أم إسماعيل أن تجعل ولدها الجديد يحمل اسم أخيه الميِّت، خشية أن يحمل مصيره وقدره مع الاسم، وأن يُقتل

t.me/qurssan

مثلـه. وهـا هـو ابنـك الثـاني أيضًـا راقـدٌ في دمائـه مقتـولًا يـا أم الإســماعيلين.

لم يكـن إسـماعيل مرفهًـا في طفولتـه. راتـب الشـيخ عبـد القـادر كإمــام مســجد في وزارة الأوقــاف، لم يكــن يكفــي الإنفــاق عــلى بيتـين يكـبر بهـما البنـون والبنـات، بينـما تتناحـر الزوجتـان عـلى مرتـب الشـيخ العجـوز الضعيـف. كان والـده يزيـد دخلـه مـن قـراءة القـرآن فـوق المقابـر وفي مناسـبات الوفـاة والعـزاء. وذلـك الدخـل الإضـافي لا يتعـدى كونـه عـدة أرغفـة عيـش شـمسي أو "سُرة بيـض"، ثـم يتسـلل الشـيخ بالغَلَّـة خِلسَـة إلى بيـت الزوجـة الثانيـة، حيـث أولاده الذكـور. وفي الوقـت الـذي كانـت أم إسـماعيل تبـكي قسـوة زوجهـا، وتقسـم رغيـف الخبـز الواحـد بـين أبنائهـا السـتة، كان إسـماعيل يتركهـن جميعًـا، ويذهـب إلى زوجـة أبيـه يـأكل في بيتهـا حتـى يشـبع، ويـشرب كوبًـا كبـيرًا مـن الشـاي، ثـم يذهـب إلى مقهـى "عـزوز"، يجلـس عـلى الرصيـف المقابـل لتلفزيـون المقهـى، يشـاهد الأفـلام، ثـم يعـود إلى بيتـه بعدمـا ينـام الجميـع.

طالمــا نمنــا معًــا في بيتــه، تحــت ذلــك الســقف "المعــروش" بفـروع الخشـب، والمُغطـى بطبقـات المشـمع الشـفاف، كي يمنـع دفقـات المطـر التـي تُغـرق الكنبـة التـي ينـام فوقهـا. كان يلـف بيـوت القريـة يبحـث عـن صديـق أو قريـب أو شـخص "معرفـة"، يسـتضيفه للمبيـت عنـده ليلـة أو ليلتـين، حتـى تجـف مَرتَبـة الكنبـة، وفي النهايـة تضغـط "فتحيـة" الأم الصعيديـة عـلى إحـدى بناتهـا، كي تتنـازل عـن كنبتهـا لأخيهـا، فتسـتجيب الفتـاة، ولا تجـد أمامهـا إلا النـوم عـلى الأرض.

"الفشخرة والمنظرة" بما لا يملك هما الصفتان الغالبتان في إسماعيل. حين كان يقابلني في الأرض "الخرابة" وقت لعب الكرة، ويقول إنه أكل "فرخ حمام" على الغداء، أعرف تلقائيًا أن نصيبه من هذا الحمام لم يتعدَّ ربع حمامة أو أقل. ولم يكن هذا ظنًّا ولا تنبؤًا. سمعتُ أمه ذات مرة في إحدى زياراتها لأمي، تشكي ضيقَ ذاتِ اليد، وتحكي بتلقائيتها المعروفة عنها، أنها تقسم اللقمة بين أبنائها حتى وإن لم ينلها هي شيءٌ، حتى الحمامة لا ينفرد بها أحد، تقسمها بينهم جميعًا.

توطَّدت علاقتنا على غير عمدٍ من أحدنا، ربما لأنني كنتُ أسمع ما يريد أن يقوله عن نفسه دون أخذٍ وجذبٍ وجدل. لكنه "أخذ مني جانبًا" قبل أن يتم نقله من عمله في الأقصر إلى القاهرة. وحين قرر الانتقال، فوجئتُ به يعرض علي الحياة معه في المدينة حيث السموات المفتوحات والطرقات الساهرة الملأى بالناس، وحيث لا يعرف أحدٌ عن أحدٍ شيئًا. ومن ثَمَّ ألحقني بهذه المجموعة وأسماني "بربنط". كان الاسم يثير سخرية كل من يسمعه للمرة الأولى، ثم يُحرج من سخريته بعد ذلك ويكتم ضحكاته بعيدًا عن نظري، لكنها لم تكن أبدًا بعيدة عن سمعي. وبعد فترة يصبح الأمر اعتياديًّا لهم وينادونني "بربنط" دون سخرية ولا حرج ولا تحسس، وهكذا مع كل زائر جديد ينضم إلى المجموعة.

الوحيد الذي كان مُصرًّا على الضحك من إشاراتي وهمهماتي، هو إسماعيل نفسه، الذي كثيرًا ما أَضْحَكَهم علي في جلسات

t.me/qurssan

انبساطه غير المتحفظة، كانت تلك الجلسات نادرًا ما تحدث، بينما كان يغلب الغم والجد والتدريب على معظم الأيام.

بعد أن هدأ أفراد المجموعة من ارتباك الصدمة، أشعلوا مزيدًا من البخور في الغرفة المذكورة، وأغلقوا الباب على الجسد الممدد بلا حراك. جلسوا يحتسون شايًا وقهوة ويُفكرون فيما يفعلون. كيف يهنئون بالسجائر والقهوة, وخلفهم على بعد خطوات قتيل لا تزال دماؤه ساخنة!؟ لكنه هو الذي زرع ذلك البرود وهو الآن يجنيه. كان أول دروسه لهم تدريبات قاسية على هدوء الأعصاب والثبات وعدم الانفعال، تدريبات على ترتيب التفكير والخطوات، تنطلق في فلسفتها من أن الكارثة إذا كانت قد حدثت بالفعل، فلن يفيد التوتر في شيء، وإن لم تحدث، فلن يمنعها الانفعال، بل ربما يسيطر عليها التركيز والتخطيط.

تشاوروا كثيرًا واختلفوا واتفقوا واختلفوا وعلت أصواتهم، ثم صمتوا لفترة. قاموا من مجلسهم وقد سلَّموا على بعضهم البعض، ودخل كلٌّ منهم إلى غرفته، وخرج بعد قليل وفي يده حقيبة ملابسه وأغراضه، ثم خرجوا من باب الڤيلا واحدًا تلو الآخر.

لم يلتفتوا إلي، لم يودِّعني أحدهم ولو بنظرة. بالتأكيد هم لا يستطيعون إبلاغ الشرطة، فماذا سيقولون عن العلاقة التي تجمعهم بالرجل!؟ كيف سيشرحون سبب وجودهم ومعيشتهم في الڤيلا!؟ لم أغضب من هروبهم بهذا الهدوء الذي يخفي تحته نيرانًا متأججة، لكنني فقط أتساءل: ألم يتذكر أحدهم أنني

أسكن معهم نفس البيت وعاشرت معهم نفس الرجل، وربما أكون متورطًا في العثور على الجثة بقدر تورطهم!؟ أسيتركونني معها وحدي!؟ لا معنى للتساؤل وقد خرج آخرهم وأغلقوا الباب خلفهم.

أصبحت أنا وهو وحيدين في المكان. كلانا يرتدي ذلك الجلباب الصعيدي الأبيض "رمش العين"، غير أن جلبابه يحمل بقعة حمراء كبيرة، أحمد الله على أن جلبابي لا يحملها. لا أستطيع التفكير ورائحة الدم المختلطة بالبخور تفوح من الغرفة. غير أني صرتُ الآن أحمل مسئولية البحث عن القاتل قبل أن أتصل بالشرطة، مسئولية العِشرة والقرية الواحدة ومئات الأرغفة "الحاف" اقتسمناها معًا أيام الجوع، مئات قطع البيض المسلوق التي كانت أمه تقسمها بيننا. ولكي أخرج من تأثير الدم والقتل وأفكِّر بشيء من العقلانية، لا بد أن أُحمِّم هذا الرجل، حتى أتمكن من النظر إليه على الأقل.

بالطبع لا أستطيع أن أحمل رجلًا يزيد عن 95 كيلوجرام، لا سيَّما رجلًا مقتولًا. أحضرت طبق الماء والصابون إلى الغرفة وأمسكت بالمقص وأصابعي تهتز داخل فتحتيه، ثم شققت الجلباب حول السكين كي لا أضطر إلى إخراجه من الجسد، حتى أتصل بالشرطة. كيف لم ألحظ يومًا أن كفوف يديه وقدميه ضخمة إلى هذه الدرجة!؟ وأن رأسه كبير كرأس ثور وشفتيه متدليتين ككلب بيتبول؟ غسلتُ الجسد كاملًا من لزوجة الدماء، وعطَّرته بالمسك كما كان يفعل بعد الحمام، وألبسته جلبابًا نظيفًا. رائحة البخور في الغرفة تطغى على رائحة القاتل،

t.me/qurssan

فلا أستطيع أن أتتبع رائحة بعينها. أنا أعرفهم جميعًا وأميِّز روائحهم، رائحة عرق كل منهم، ورائحة عطره المحبب وعطره غير المحبب، بل ونوع البخور المفضل لديه. والغريب أن هذا البخور المشتعل في الغرفة، هو المفضل لإسماعيل نفسه. هل يكون أشعله قبل أن ينقض عليه القاتل؟

بحثتُ في غرف الشباب والبنات، لم أجد شيئًا، حتى ناديا زوجة إسماعيل لم تَبِت ليلتها في الڤيلا، مات أبوها منذ يومين ولم تعُد من ليالي العزاء بعد. جميع الغرف تخلو من أية إشارة تدل على نية أحدهم في القتل، ولم يتبقَ إلا غرفته هو شخصيًا. هل يكون القاتل قد ترك -هنا- شيئًا يدل عليه!؟

الغرفة مُرتبة بعناية تضاهي العادية أو تكاد تزيد، كل شيء في مكانه؛ الملابس، الأوراق، دولاب العطور، رف الأفلام والكتب. إذا تكلمت هذه الغرفة، ستجزم بأن غريبًا لم يطأها قط. الخائن من هنا، من بيننا.

إسماعيل يحتفظ بالأوراق الهامة والأشياء الثمينة في درفة الكومودينو التي عن يمين سريره، حتى هذه الدرفة لم تنقص خردلة من ميزان، ولكنها زادت! نعم أنا طالما فتحتُها ورتَّبتها بأمرٍ منه، وأعرف عن ظهر قلب عدد الملفات والدوسيهات بداخلها. هذه "الأچندات" جديدة ولم تكن هنا قبل أسابيع.

الأچندات مختلفة الروائح، يبدو أنها لأفراد المجموعة. كل أچندة تخص واحدًا منهم. إنها أچندات مذكرات! كانوا يكتبون مذكراتهم، ويبدو أن إسماعيل علم بالأمر وجمع منهم المذكرات، أو لعله سرقها من غرفهم. فمن يمكن أن يمنعه من

أن يأخذ ما يريد من غرفة أيِّهم!؟ المكان مكانه والمُلك مُلكُه، البشر قبل الأثاث.

خطوطهم مختلفة، لكنهم يكتبون بنفس الأداء. أحيانًا تكون الخطوط مستوية وهادئة ومنمَّقة، وأحيانًا مرتبكة ومتشابكة تتقافز فوق الأسطر، كأن صاحبها يسارع القلم كي يتقيأ ما بداخله أمامه على الورق. وإذا صدق حدسي، فإن هذه الأوراق ستحمل في طياتها ألغازًا وأسرارًا، ربما تفكُّ هذا اللغز المُتكوِّم فوق سريره مشقوق القلب...

t.me/qurssan

علي صابر (16 يناير 2014)

مطرٌ يملأ السماء والأرض وما بينهما، أجساد تهرول إلى المنازل ومحطات المترو وبوابات العمارات ومداخل المحلات، لا تدرك الآذان إلا وقع قطرات الماء على الأرض، أو صوت الخطوات المنغمسة في برك المياه المتجمعة بامتداد الشوارع. وكنت أنا لا أزال أقف منتظرًا الشخص الذي يبدو دائمًا كأنه لن يأتي ثم يظهر بعد نفاد الصبر، إسماعيل عبد القادر.

كادت الليلة تمر بسلام رغم غضب السماء المنهمر على رءوس المارة، لولا سيارته الچيب الفضية التي توقفت على بعد خطوات من أقدامي، سيارة تحمل لونًا وسطيًّا، لا يدل على شيء ولا يُستدل منه على مزاج، كما هو الحال في كل ممتلكات إسماعيل وكلماته ولفتاته.

انفتح الباب المجاور للسائق، ودلفتُ إلى داخل السيارة التي انطلقت بأسرع ما يكون، غير آبهة لما حملت من الطين والماء إلى أرجل المارة المجاورين، الذين تابعوها بنظراتهم الغاضبة الممزوجة بكثير من السباب القاسي.

لم يكن إسماعيل كثير الخروج من المنزل. فالمُهمة الأمنية التي يتفرَّغ لها تقتضي ألا يظهر كثيرًا، كما كان يقول. ولكنه كان مُبالِغًا في التخفي، فمن الذي سيكترث لشخص أسمر يبدو بوضوح أنه جنوبيٌّ، ولهجته الصعيدية تؤكد الانطباع، ولا يتحدث كثيرًا؟ ليس فيه ما يلفت النظر كما يتوهم.

كنتُ أنوي أن أُخفي عنه أمر الألف جنيه التي أخذتها كمكافأة ساعات عمل إضافية، حتى لا يطلب مني أن أضمها إلى الصندوق الجماعي. كانت هذه الألف هي مساعدة السماء لي كي أكمل الأسبوع الأخير في الشهر مستورًا.

- حضرتك اتأخرت شوية. الله يكون في عونك أكيد مشغول.
- شوية إيه يا راجل؟ دول 3 ساعات على ما قدرت اتحرك من البيت، فضلت مستني المطر يخلص وبعدين قلت مابدهاش بقى، زمان علي باش تحت الميه. يلا أهو تعوَّض العفن وقلة الحموم هههههههههههه...
- هههههههه على رأي حضرتك أهي حمومة ببلاش.
- والله ناديا كانت عند الدكتورة النهاردة وشافت السونار والبنت بخير الحمد لله. دكاترة سفاحين، الكشف بس والسونار 1500 جنيه, ومكنش معاها فلوس فكة ومفيش

t.me/qurssan

ATM قريبة تسحب منها، استلفنا من واحد معرفة هناك وهنديها له بكرة.

- لا بكرة ليه؟ إحنا نعدي عليه دلوقتي نديهاله. إتفضل حضرتك ده كل اللي معايا.

- الله يباركلك يا علي. الإنسان يعرف إنه خيِّر منين وإنه ابن حلال؟ لما ربنا يقوده لفعل الخير لكل اللي حواليه، ساعتها يعرف إنه فعلًا على طريق الله، ربنا يستعملنا ولا يستبدلنا. قول آمين.

- آمين.

أعرفُ أن كلماته القاسية التي تبدو كإهانات متعمدة، تدخل في إطار تدريبات قوة التحمل، تمامًا كتدريبات الطاعة في الجيش التي لا يجوز مخالفتها ولا التذمر منها. هو يردد تلك المبادئ الأولية على مسامعنا طوال الوقت، والويل كل الويل لمن لا يمتثل أو تقافز الاعتراض في عينيه.

لم تنتهِ هذه الليلة "الغبرة" عند هذا اللقاء الذي أفقدني كل ما في جيبي، حتى أصبحت لا أمتلك أجرة تاكسي يحملني من وسط البلد إلى الزمالك، حيث المجمع الفني الذي أعمل مستشارًا إعلاميًّا به. عندما رن جرس الهاتف، كنت قد اهتديتُ إلى المرور على محجوب في الصباح لأقترض منه أجرة التاكسي على الأقل، حتى أطلب سلفة من راتب الشهر القادم.

"ألو... محجوب كنت لسه هتصل بيك، أنا هعدي عليك الصبح معلش عشان... بتقول إيه؟ تتطلق يعني إيه؟ قصدي

يعني ليه؟... بسببه إزاي؟... عايز منها إيه؟... إيه الكلام الوقح ده؟ هي قالت لك كده بلسانها؟ محجوب، إنت مصدقها؟... مش عارف؟ طب نتقابل الصبح، تعالى وصلني الشغل ونقعد في مكتبي نتكلم. سلام.

لم تكن أرض هذا الصباح قد تشربت بعدُ إغداق السماء عليها طيلة الليل، ولم تكن السويعات القليلة التي نمتُها تسمح بأن أخرج من البيت على غير هذه الحال الرثة؛ بالطو بني يتخطَّى الركبة بقليل، لم يتعرض لحرارة المكواة، فلم تشعر خلاياه بقليل الدفء، ولم يتسرب من خلاله إلى قلبي سوى القشعريرة والانتفاض، قميص كاروه بين الأحمر والكحلي، تبدو ياقته من خلال فتحة البالطو العلوية، وحذاء أسود به عوالق طين الليلة الماضية.

مرَّت سيارة محجوب البيضاء لتخطفني من أمام البيت، وانطلقت بسرعة تنمُّ عن غضب وتخبُّط قائدها. لحظات كالجبال وعيون تتحاشى نظرات من حولها، هكذا كان الحال بيني وبين محجوب إلى أن قال:

- بتقول إنه بيحاول يتحرش بيها من 6 شهور، وكانت بتخبي احترامًا لمشاعري وخوفًا مني، وخوفًا على الشغل اللي بيني وبينه، وبتقول إن بقاله أسبوع بيطلب منها بشكل مباشر... (يبتلع ريقه ويشرد لحظات) زي ما قلتلك امبارح... ولما كذَّبتها قالت ان بقالها أسبوع مستحملة وساكتة عشان تسجِّل له أي حاجة، وفي الآخر سجلت له 3 مكالمات وطلبت مني أسمعهم وأتأكد.

t.me/qurssan

- وسمعتهم؟

- مقدرتش، حسيت إني لو سمعت وطلعت كدابة هقتلها، ولو سمعت وطلعت صادقة هقتل نفسي، عشان مش هقدر أقتله...

يوم عمل رتيب لا يختلف عن سابقيه، ولكنه هادئ نظرًا إلى غياب حبيبة، الفتاة المدللة الجميلة الممشوقة. يومٌ لا يحتمِل ضحكاتها المجلجلة في أركان المكاتب، ومزاحها الخفيف الرائق الذي يخرجني من كل ضيقٍ. حتى وإن كنتُ ميتًا وأُحاسب، يمكنها بنعومتها وانكسار رموشها الطويلة على خديها الحمراوين، أن تنسيني المَلَكين والحساب والجنة والنار.

عيونها واسعة ورغم ذلك لا يكاد بياضهما يظهر بجوار الدائرتين العسليتين. حين تُصادف نظراتها قرص الشمس تتلون عيونها كأنها قوس قزح، أرى فيهما ألوان الكون ولمعان النجوم. جسدها يميل إلى الامتلاء لكنه غير ممتلئ، هو يعرف كيف يبدو في كل قطعة ترتديها، تكون رفيعة أحيانًا وممتلئة أحيانًا وطويلة وقصيرة وبيضاء وسمراء، لا أعرفُ لها وصفًا غير أنها جميلة جمالًا مزعجًا... مزعجًا جدًّا لا أكاد أطيقه.

آهٍ يا حبيبة، لو تعلمين كم يؤثر غيابك في المكان ويجعله هادئًا، لا ضحكات فيه ولا التفات عن العمل! لو تعلمين كم يروقني كرسيك الفارغ من ذلك الجسد الغزلاني الذي لا يفارق صحوي ولا نومي، لحضرتِ الآن ولأطبقتِ كفيك الصغيرين على قلبي، ولن تتركيني إلا ميتًا، وليتك تفعلين!

- أما مصيبة محجوب دي مصيبة كمان... إزاي تتجرأ سامية وتفتري على الراجل اللي وقف جنب جوزها وساعده وسدد له ديونه بالشكل ده؟

- باسم؟ إنت دخلت هنا ازاي؟

- إزاي إيه؟ قلتلهم بره عايز مكتب علي. (وضع باسم "فيشة البويلر" الموضوع على منضدة صغيرة بجوار مكتبي، وأحضر كوبًا زجاجيًا وضع به ملعقة سكر وشاي من كيس وعبوة شاي مجاورين، وجلس على الكرسي المقابل لمكتبي) تفتكر محجوب هيعمل معاها إيه؟ هيطلقها كده بالساهل ولا هيسيبها تتربى في المحاكم؟

- والله ما أنا عارف. هو محجوب حكالك إمتى؟

- هو حكالي أنا بس؟ ده حكى للجروب كله. ده حكى لأستاذ إسماعيل نفسه.

- (انتفضت من فوق الكرسي متفاجئًا)... إيه؟ وكان رد فعله إيه؟

- (يصب باسم كوب الشاي) سكت... سكت خاااالص... كأن الكلام مش عنه، وسأل محجوب بكل هدوء "وإنت ناوي تعمل إيه؟" ومحجوب فضل ساكت مبيحطش منطق، وفجأة عيط زي العيال ووطى على ركبه قدام أستاذ إسماعيل، وفضل يتنهنه ويعتذر (وهو يأخذ رشفة من كوب الشاي). أنا حسيت إن وجودي مش مناسب معاهم سيبتهم وجيتلك.

- تفتكر هيطلقها؟

- (مع رشفة من الشاي)... أنا لو مكانه مش هعمل غير كده.

t.me/qurssan

سميرة العرباوي (17 يناير 2016)

كم أكره هذا المنبه الذي لا يكف عن الصراخ، ويوقظني كل يوم على نفس الصداع الرهيب، ربما أنا أخطئ وأضبطه مبكرًا عن الوقت الذي أفضله للاستيقاظ، ولكنها الآن الثانية ظهرًا، فمتى أستيقظ بعد ذاك!؟ بعد المغرب!؟

- نوال... نواااااال.. حضرتي الفطار؟
- أيوة يا مدام جاهز على السفرة.
- سيد صحي ولا لسة؟
- صحي يا مدام وخرج من بدري.
- طيب روحي انتي.

دائمًا ما أنسى أين تركتُ هاتفي المحمول. وجدته أخيرًا في أحد أدراج التسريحة. بينما كانت يدي اليمنى تمسك الهاتف

لإجراء مكالمة كنتُ أتجول في أركان الغرفة، وأمرُّ على البراويز المُعلقة على الحوائط واحدًا واحدًا أضبط كلًّا منهم، وأقترب وأبتعد حتى أرى البرواز من أكثر من زاوية، ولا أنتقل إلى غيره إلا بعدما أتأكد أنه نظيف يلمع ومعتدل تمامًا لا يميل إلى ناحية. ثم وضعتُ الهاتف بين أذني وكتفي الأيسر حتى أتمكن من ترتيب ملاءة السرير بعناية شديدة، فهذه أمور لا أستطيع أن أتركها لنوال. لن تتقنها كما أفعل أنا.

"أيوة يا محجوب إيه كل ده مش بترد؟ بكلمك من امبارح... ليه خير؟ طيب طيب، عمومًا الزفت نزل من بدري، هستناك في الشركة، عدي عليا نتغدى سوا... سلام".

الفستان الأزرق أم الأسود؟ محجوب يحب الأزرق. ترى ماذا وراءك يا محجوب!؟ ما الذي منعك عني طيلة الليل وأنت لم تعتد النوم إلا على صوت أنفاسي؟ هل كان الأمس لسامية يا محجوب؟ هل نمت الليلة على صدرها وتنفست زفيرها وداعبت شعرها؟ لا يمكن أن تأخذك مني هذه الدُّبَّة الأكولة بنت العرضحالجي، لا هي ولا أولادها سيختطفونك مني. أنا الحبيبة والعشيقة والدفء، وما عدايَ هراءٌ وخيالات.

شتان بين محجوب وسامية، لا أعرف في أي ملابسة بلهاء أغمض عينيه وتزوَّج هذا الكائن اللزج كبير الحجم. يقول إنها كانت ذات جسد فرنسي طويل وممشوق حين تزوجها، ثم أصبحت على هذه الحال بعد زيادة نسبة الكورتيزون في أدوية الحساسية الصدرية المزمنة التي تستمر عليها منذ سنوات، ولم تفلح في إنقاص وزنها أبدًا بعد ذلك. شكلُها لا يبدو سيئًا، لكنه

t.me/qurssan

ميِّت لا روح فيه، ملامحها هادئة كبحيرة راكدة بلا أمواج، شعرها أسود قصير تنتهي أطرافه بين أذنيها وكتفيها، وشفتيها صغيرتان. هل يحب محجوب الشفاه الصغيرة المنمنمة؟ بالطبع لا. إذا كان يحبهما فلِمَ لا تتحرك عيناه من على شفتيَّ كلما رآني!؟ بشرتها خمرية محايدة تشبه بشرة كل النساء في مصر. هي ليست امرأة مميزة على أي مستوى.

بينما محجوب رجل لافت، لا يمكن لأي عين تراه للمرة الأولى أن تتجاوزه هكذا بسهولة. طويل، ذو شعر أسود ناعم لا يخلو من طول، ملفوف العضلات، رقبته طويلة وعريضة، ويزيدها جمالًا تلك السلسلة الفضية التي تظهر أجزاء منها خلف ياقة القميص، يداه ناعمتان ونظيفتان، وهي صفة نادرًا ما تتواجد في رَجُل. شعر ذراعيه الكثيف مُقرف إلى حد ما، لكن الفتيات يرونه دليل رجولة وجاذبية. كم أحبك يا محجوب!

كنتُ أمسك منديلًا مبللًا، أنظف به شاشة التلفزيون القابعة عن يمين مكتبي في سكون، وشاشة (اللابتوب) المستقرة أمامي تمامًا. انتظرتُ حتى وضع العامل فنجان القهوة أمام محجوب ثم خرج. لم يعجبني حاله الساكت الحزين، فانتقلتُ إلى كرسيه، جلستُ فوق قدميه ووضعت رأسه بين نهدي علَّه يهدأ ويسكن: "قول يا سيدي... أنا سامعاك".

- تعبان يا سميرة وحاسس بكلاب مسعورة بتجري في دماغي.

- أنا سرك وبيرك وغطاك وصندوقك المقفول. احكيلي يا حبيبي وكل مشكلة وليها حل.

لـن يمكنني أن أنسى ذلك اليوم؛ أول لقاء بين سيد ومحجوب، أو كما يقولون في النكات "بين زوجي وحبيبي". زوجي، رجل الأعمال الكبير، الذي لم يترك فتاة أو امرأة أو حتى قطة لم يغازلها أو يتحرش بها، من وراء ظهري. هو رجل لا يحترمني. فلماذا أحترمه أنا وأظل أسيرة لكذباته التي لا تنتهي!؟

فاجأني سيد بزيارته في المكتب. انفتح الباب فجأة فوجدته أمامي، كنت قد انتهيت لتوي من احتضان محجوب وتقبيله قبلة طويلة، تخفف عنه صدمة ما جاءني من أجله. لم ينبس ثلاثتنا ببنت شفة، انصرف سيد وأغلق الباب خلفه، قمتُ أنا من فوق رجل محجوب الذي تسمَّر مكانه كأنما تحوَّل إلى تمثال شمع!

تناولنا الغداء صامتين، وركبنا سيارتي على غير هدى إلى أن انقضى النهار دون وِجهة. اقترح محجوب أن نذهب إلى إسماعيل، لن نجد غيره الآن يدعم قصة حبنا المستحيلة، ويرمم هذه الشروخ الملأى بها الروح.

كان اليوم ثريًّا عند إسماعيل أيضًا، فهي المرة الأولى التي رأيته فيها يضرب واحدًا من المجموعة، طرحه أرضًا وانهال عليه بالحذاء، حتى كاد يُدمي رأسه بينما كان يصرخ:

- أنا علمتك كده يا كلب يا وسخ؟ تضرب راجل كبير في الشارع؟

t.me/qurssan

- (صرخ باسم مُدافعًا عن نفسه بأعلى صوته وطاقته) ما هو اللي خبطني بالعربية حضرتك، ولولا ستر الله كان موتني، وكمان نزل يضربني كأن أنا الغلطان.

- (استمر إسماعيل في الضرب) راجل كبير يبقى تسيبه يضربك حتى لو هيموتك من الضرب، أنا مبعَلِّمش عيال، أنا بعلِّم رجالة. ولو مش هتبقى راجل ملكش مكان معايا... اتفضل بره.

نظر إلي إسماعيل وهو يلهث وبالكاد يسحب نَفَسه، وببطء شديد:

- اتصلي بالناس كلها وبلغيهم إن فيه اجتماع.

كانت هي المرة الأولى -ويبدو أنه يوم المرات الأُوَل- التي يجمعنا فيها إسماعيل على هذا النحو من السرعة والأهمية، ولم يكن يخطر ببالي أن (علقة) باسم هي الدافع للأمر.

- اسمعوا كلكم. أنا قلت لكم قبل كده إن حياة الخدمة العامة مش سهلة، وإن الواحد مننا طالما اختار الطريق ده هيتنازل، وهيتنازل كتير، يتنازل بقى عن شيء من وقته أو فلوسه أو حتى كرامته. كل واحد حسب طاقته أولًا وحسب المطلوب منه ثانيًا. وأنا فهمتكم قبل كده إن أنا مأمور زيكم بالظبط وبتلقى تعليمات زيكم بالظبط. وأظن التنازل ده يكون أهون شيء في الدنيا لما يكون المقابل ليه علاقة بالبلد. زميلكم باسم اتفضل واتكرم ومد إيده على راجل كبير في الشارع لمجرد إنه لمسه بالعربية.

- حضرتك ده كان هيموتني.
- إخرس يا حيوان.
- لمسك ولا طلّع روحك حتى. الكبير له احترام، وأنا زي ما قلت بربّي رجالة مش شوية عيال هلافيت. كل واحد فيكم يبص في تاريخه كويس ويشوف هو كان إيه وعايش هلفوت وهايف إزاي، وبقى إيه ومطلوب منه إيه وبيتدرب على إيه وعشان إيه. أرجو إن كلكم تركزوا في المطلوب منكم وفي تدريباتكم. من بكرة بإذن الله هيبدأ تدريبكم الجديد. التدريب باختصار إن كلكم هيبقى اسمكم "عُمر". الأولاد "عمر" والبنات "عمر". يعني باسم هيتصل بـ سميرة أو يقابلها في مكان -أي مكان حتى لو في البيت هنا- هيقولها ازيك يا "عمر" وهي هتقوله تمام كويسة يا "عمر" وهكذا...

الغرض من التدريب ده إن في وقت الخطر أي واحد فيكم يقدر يغير من شخصيته بسرعة ويتأقلم مع الشخصية الجديدة. اسمك هو أول نقطة في بحر شخصيتك، وأول مَعْلَم من معالم هويتك، وفي مهمتنا دي هويتك هي بلدك، وشخصيتك هي بلدك، ودينك هو بلدك. خليك مستعد تغير أي حاجة فيك عشان بلدك.

t.me/qurssan

علي صابر (1 فبراير 2016)

عادة ما ينجذب الإنسان إلى أشباهه؛ بشر، حيوانات، زرع، عمارات، جِنٌّ أزرق... المهم أن تجد من تنتمي إليه. وبرغم أنني لا أشبه أحدًا من مجموعة إسماعيل، فإنني أجد شعورًا بالانتماء يتجذَّر بداخلي ويزداد تعمقًا كلما اجتمعتُ بهم.

لا أنكر أن الجلوس إليهم يروقني في غير أوقات الجد والتدريب. لن أدعي أنني أفهمهم أو أستطيع تخمين شخصياتهم، ولكنهم يروقونني. أنا أصلًا لا أفهم إسماعيل نفسه. عندما أخذ مني الـ 1000 جنيه في السيارة صدَّقتُ المأزق المادي الذي تعرضت له ناديا عند طبيبة النساء، ولكن بعدها بيومين فاجأني بمبلغ 3000 جنيه شاكرًا إياي على نجاحي في الاختبار، وطلب مني أن أقبل المبلغ كله، لأنني لا أكون بكامل تركيزي في التأهيل الجسدي والنفسي المطلوبين مني، بينما أنا مشغول بمشكلاتي

المادية، والعجب العجاب أنه طلب مني بشدة وتأكيد أن أذهب إليه كلما نفدت نقودي.

أراه دائمًا في أحلامي على هيئة والدي رحمه الله، شكل وجسد إسماعيل يتلبس بروح والدي، أراه بجلبابه الواسع الفضفاض وجسده الضخم وشاربه الكث، وعيونه الضيقة كخرم إبرة لا تتسق ومنخاره الكبير كطائر "أبو ملعقة". أراه يعانقني ويعانق حبيبة، ويمسك بكلتا يدينا ويشبك أصابعنا معًا، ثم يضع في جيبي "لفة" كبيرة من النقود، ويتركنا ويمضي ويغلق خلفه بابًا.

علاقتي بوالدي كانت معقدة إلى حد بعيد. أجبرني على التهرب من الجيش، وأجبر أخي الأصغر على "التبليط" في الكلية، حتى أجد أنا الفرصة المناسبة للسفر خارج مصر. أبي هو السبب في توتر العلاقة بيني وبين أخي "رامز" الذي يحاسبني على هذه الاستجابة لأبي حتى الآن.

كان رامز صغيرًا ولا يقوى على مجابهة أبي وقول "لا". أنا كنتُ أستطيع، ورغم ذلك لم أفعل ولم أستطع أبدًا. استحللتُ سنوات عمر أخي التي كان مجبرًا على مكوثها في الكلية، حتى أتهرب أنا من الجيش وأطير إلى الجنة التي تنتظرني خارج مصر، ثم عدتُ بعدها وأنا لا أحتكمُ في مليمٍ واحدٍ يزيد عن ثمن تذكرة الطائرة، عدتُ بعدما تخطيتُ الواحد والثلاثين عامًا لأتحمل خيبتي وخيبة أخي. عدتُ بعد فوات فترة جيشي ودفعت غرامتي، ولا يزال أخي الذي أنهى تعليمه الجامعي في

t.me/qurssan

الخامسة والعشرين، متخبطًا في حياته مهزوز الشخصية إلى حد بعيد، ويحمِّلني مسئولية هذا كله.

وما زال أبي الرجل الطيب لا يشعر تجاهنا بأي تأنيب ضمير. هو يرى أنه فعل ما عليه تجاهنا، وأنه اتَّخذ لنا القرارات المناسبة في حياتنا، بما فيها إجباري على التهرُّب من الجيش. ورغم ذلك أنا لا أشعر بأي نقمة عليه أو غضب منه، إنما هي شفقة على أخي الأصغر، وإحساس بالذنب والخزي تجاه هذا البلد، الذي آثرتُ نفسي عليه. شعورٌ بالخزي من أطفالي الذين في عِلم الغيب. كيف سأحكي لهم عمَّا تهرَّبتُ أنا منه، وتركتُ أخي يدفع ثمنه بسنوات بقائه في الكلية!؟ وعندما تعرَّفتُ إلى إسماعيل، وعرض عليَّ الانضمام إلى هذه المجموعة السرية، وجدتُ في ذلك أكبر تعويض يعيد إليَّ شعوري بالرضا عن نفسي، واحترامي لذاتي وكرامتي. يجعلني قدوة لأخي مرة أخرى، بعدما أصبحت نظرات الاحتقار لا تفارق عينيه، حتى وأنا أعمل مستشارًا إعلاميًّا في مكان مرموق.

لا أدري إن كان حُسن أم سوء طالعي، هو الذي جعلني أشهد تلك الجلسة الرباعية المغلقة، التي عقدها إسماعيل بعد انصراف المجموعة، هو وأنا ومحجوب وسميرة. بدأها إسماعيل بالكلام والهجوم كعادته، وبالجملة الافتتاحية التي لم تخطئ أينما قالها "أنا مبحبش الحال المايل". ارتبك الاثنان كأنما جاءا لتوهما من قتل قتيل، دون أن يغسلا أيديهما من دمائه. ساد صمت ثقيل بعد الجملة التي ألقاها إسماعيل على آذانهما.

- تتكلموا انتو ولا اتكلم أنا؟

- ...

- حضرتِك يا زوجة يا محترمة يا متربية يا بنت الناس، موقفك إيه لما جوزك يدخل عليكي يلاقيكي قاعدة على رجل واحد غريب (توجَّه بكامل وجهه ونظراته إلى محجوب). اعذرني يا أفندي مقدرش أقول راجل عشان الراجل ميعملش كده. (ثم عاد بوجهه إلى سميرة) طب هو دكر وميهمهوش سمعته ولا سمعة مراته ولا حتى ولاده، طب سمعتك انتي؟ وسمعة الراجل إللي آنيكي؟ وبنتك معملتيش حسابها لما تعرف اللي حصل ده؟ من غير كُتر كلام، الحل الوحيد ليكم إنكم تتجوزوا، سميرة تتطلق من سيد ومحجوب يطلق سامية، وبعدين نرتب موضوع جوازكم. غير كده مينفعش!

t.me/qurssan

سامية علوي (5 فبراير 2016)

يمكننا أن نتحمل المرضى النفسيين كجزء من حياتنا اليومية ومحيطنا القريب، بل ونتورط فيهم ونحبهم أيضًا، إلى أن نبدأ في التهاوي... وإلى أن نستشعر نبضات المرض تسري في أرواحنا، هنا يجب التوقف، وليذهب الدعم والمساندة إلى أعمق بؤرة في جحيم الإنسانية.

لو كنتُ أعرف حين أحببتُك يا محجوب أن نهايتي ستكون على يدي ذلك الحب، وذلك القلب، لدببتُ فيه سكينًا وأنهيت حياته وحياتك، أو على الأقل لاخترتُ لكلينا نهاية أكثر شرفًا من هذه التي أنا بين شقي رحاها؛ الاستمرار مع شخص مفتقد للرجولة ولا يحمل منها إلا "حيامنها"، وبين الانفصال بفضيحة بجلاجل للمصور السينمائي الشهير، الذي سمح لرجل أيًّا كانت سلطته ونفوذه، أن يتحرش بزوجته، وأن يتطور التحرش اللفظي

إلى طلب صريح بما هو أكثر، مع وعد بأن يكون ذلك الأكثر مدفوع الثمن!

تبًّا لك يا محجوب، ولكل لحظة نمتُ فيها آمنة بين ذراعيك وظننتُ أن أذى لن يطالني. كنتُ أشتم رائحة الخراب تلف هذا البيت مذ عرَّفتني للمرة الأولى بهذا الحيوان، وشرحت لي حساسية عمله في أمن الدولة. كانت نظراته تتفحصني بشكل لافت إلا لك. هل أَسَرَك بسداد ديونك؟ هل اشترى رجولتك، بأن لم يسجنك بإيصالات الأمانة التي لم يقدمها إلى الشرطة حين جاء موعدها ولم تسددها، أم أنه (يمسك عليك) ما هو أكبر من ذلك؟ بِمَ اشتراك يا محجوب؟ تُكذِّب زوجتك بعد عِشرة ثمانِي سنوات، وتتخلى عن الطفلين من أجل هذا العاهر القوَّاد!؟

لم أتخيل يومًا أن أقف بين يدي قاضٍ في محكمة أحوال شخصية، لأضع بين يديه تسجيلًا لضابط أمن دولة يراودني عن نفسي بعلم زوجي، ولكن يبدو أنه لا مفر يا محجوب، إن لم تطلقني بهدوء، أقسم أن أفعلها، وأن أجعل الجرائد التي طالما كتبت عن سحر كاميراتك، تكتب الآن عن المصور الشهير مُدمِن الخمر الذي فقد عقله ورجولته.

كان لا بدَّ أن أفهم منذ تلاقينا أنك غير سوي وغير مؤتَمَن. كيف كنت أتغاضى عن أنك تستقبل أصدقاءك الرجال في بيتي أثناء غيابي، وتدعهم يدخلون إلى غرفة نومنا!؟ كيف كنتُ أجعل الشجار يمرُّ هكذا وأنا لا أشعر بغيرتك، حين ترى أصحابك ينظرون إلى ملابس نومي المُعلَّقة على الشماعة في

t.me/qurssan

غرفتنا الخاصة!؟ كيف أعماني الحب هكذا يا محجوب؟! يبدو أن الحكايات التي طالما سمعتها من مجهولين في مكالمات هاتفية كانت صادقة. هل حقًّا ماتت أمُّك غاضبة عليك بعدما سرقتها وضربتها؟ هل حقًّا مات أبوك مشلولًا بعدما سرقت ختمه وبِعتَ أرضه التي رواها بسنوات عمره؟ كيف انبهرتُ أنا بشهرتك وصيتك الذائع، ولمعة عينيك وكلامك الناعم كلمسات يديك، وصدَّقتُك إلى هذا الحد، إلى درجة أنني لم أهتم حين لم يحضر زفافنا أحدٌ من أهلك؟!

أتذكر أن فتاة يبدو من صوتها أنها بالكاد تخطَّت العشرين، اتصلت بي بعد زواجنا بعدة أشهر، ترجوني أن أقبلها زوجة أخرى لك. قالت إنها ابنة عمِّك وأنك لا بدَّ أن "تتسترَّ" على ما فعلته بها، لأنك إن لم تفعل سيزوجها أبوها قريبًا وسينكشف أمرها! كانت ترجوني أن أقبلها خادمة في بيتنا يا محجوب، كي لا يُفضَح أهلُها في البلد. لكنك هجتَ ومِجتَ وتوعدتها بأقصى عقاب، جراء الوشاية الكاذبة المُدَّعية. هل تذكر العزاء الذي دُعيت إليه بعد تلك المكالمة يا محجوب، وتعللت بأعمالك وانشغالاتك؟ تُرى هل قُتلت الفتاة أم انتحرت!؟

t.me/qurssan

سيد يوسف (10 فبراير 2016)

لا بد لكل خائن أن يبرر خيانته، وإلا فلن يتحمل رائحة الوسخ التي ستفوح من تحت إبطيه، ويموت!

رأيت فيما يرى النائم الخائف، أنني أبحث عن ابنتنا "نور" في كل مكان؛ البيت، الشارع، المدرسة، النادي... ولم أجد لا رائحة ولا طيفًا ولا أثرًا، ولكنني وجدت سميرة تجلس على كرسيها الهزاز في البلكونة تدخن سيجارة، وتشعل عودًا من البخور تضعه على المنضدة المقابلة لها بجوار قنينة خضراء تحمل نبتة "مسك الليل". رأيتُها هادئة مستكينة تنظر إلي بطرف عينها اليمنى، وأشارت بيدها -باستهتار- إلى الجانب الأيمن للبلكونة.

لا أعرف لماذا ترددتُ في التوجه ببصري حيثما أشارت، ثم نظرتُ ورأيتُ، تمنيت وقتها لو أنني فاقد البصر، أو فاقد

العقل، فلا أستوعب ما أرى. رأيت ابنتنا نور مربوطة من رقبتها إلى سور الشرفة، وجسدها متدلى إلى الخارج، وتمد إحدى يديها إلى أمها (التي تنظر لها بابتسامة كأنها تدخن سيجارة حشيش) وباليد الأخرى تحاول أن تفك الحبل المُحكم حول رقبتها، ولم تستطع.

استيقظتُ بعد موعد نزول نور إلى مدرستها، ولا أعرف لِمَ قررت في ذلك اليوم تحديدًا أن أزورها في المدرسة.

لم يحدث في ذلك اليوم شيء مثير، نور بحالة جيدة ولا ألحظ عليها شيئًا غير عاداتها. هناك خبرٌ ما يُلم بأسرتي ولا بد لي من اكتشافه، أنا لا أتبع الأحلام عادة، لكني أؤمن أنها رسائل. أحيانًا يرغب المرء منا في تفقد صندوق رسائله، وأحيانًا يصم عينيه عمدًا.

من مدرسة نور إلى مكتب سميرة أتبع حدسي، لم أتبين ملامحها جيدًا، فقط فستانها الأزرق القصير وشعرها البُني وحذاءها الأسود، وجلستها المعوجة فوق فخذي رجل، استمالة جسدها فوق صدره، يمكنني أن أميِّز جيدًا ارتخاء شفتيها حينما أنتهي من تقبيلها. ظننت أنني فتحت المكتب الخطأ، فأغلقت الباب مسرعًا وخرجت إلى الممر ثم إلى بهو الاستقبال. هرولتُ إلى الشارع أيضًا مُسرعًا، كأنني أجري من وحشٍ خلفي وأخشى النظر إلى الوراء. ظننت أن عيني ربما خانتاني، فاتصلتُ بسكرتيرة المدام وتأكدتُ أنها هي التي كانت بالمكتب.

تعرَّفتُ إلى سميرة في إحدى حفلات نادي الجزيرة، لن أنكر أن مظهرها المتأنق وجلستها المعتدلة، مستقيمة الظهر مفرودة

t.me/qurssan

الكتفين أول ما جذبني إليها. كانت تمسك فنجان القهوة بثقة ورقة، وتضع ساقها البيضاء فوق الأخرى. جسدٌ ممشوق منتصب بلا انثناءات، وشعر بُني يعكس نور الشمس، ونظارة سوداء منتقاة بعناية، وتتسق مع ألوان "بلوزتها" الشيفون الواسعة الشفافة، وبنطالها الچينز الأبيض. بهرتني ثقتها في نفسها وتنفيذها لكل قرار تتخذه في حياتها، قوة إصرارها على ما تفعل دون الالتفات إلى الآخرين، حتى ولو اجتمع هؤلاء الآخرون على خطأ ما تفعل. سميرة لا تسمع إلا صوت سميرة، وباقي الكون مجرد صدى.

لم أتوقع عودتها إلى البيت في ذلك اليوم، لكنها عادت. ربما لم تنتظر هي أن أكون أنا بالبيت. دَخَلَتْ غرفتها ببرودها المعتاد على القتل، الذي لا يخشى النظر في عيني ضحيته. فتحت دولاب ملابسها واختارت قميص نومٍ تعلمُ جيدًا أنني أكرهه، وأنا أتبعُها في الشقة كالقط الفزِع، أنتظر منها جوابًا على ما لم أسأل. ارتدت قميصها بنفس البرود، واستدارت إلي بعينين جاحظتين يسوِّد الكُحل ما تحتهما، وقالت: "طلقني، أشرفلك"! وأولتني ظهرها وأطفأت "الأباچورة" المجاورة لها، وغطَّت نصف جسدها الأسفل، ثم أغمضت عينيها.

هكذا ببساطة فعلت ما فعلت، ما رأيتُ وما لم أرَ، ثم أغمضت عينيها ونامت. تجاوزت البنت والبيت والسنين والذكريات والحب والخلاف والبُعد والعتاب والقُرب، تجاوزتني، وخانتني، ونامت!

نصحني طبيبي النفسي أن ألعب لعبة الكرسي الفارغ. أضع الكرسي أمامي وأتخيلها تجلس عليه. كنتُ أقول لها كل ما يمكنني أن أنعتها به من سباب. كنتُ أضربها حتى تؤلمني يداي أو يقع الكرسي على الأرض، فلا أفيق إلا على صوت الارتطام، أو على صوت نور تصرخ في الخارج، وتظنني جُنِنت. نصحني أيضًا أن أُفرغ مشاعري على الأوراق، علَّها تحمل عن قلبي الجبال، لكنها في الحقيقة لم تزدها أمامي إلا وضوحًا وثباتًا.

في غضون أيام قلائل، كانت سميرة قد تركت البيت. أخذت ما استطاعت من ملابسها ولوحاتها الثمينة من فوق الحوائط، وزهرياتها القيمة التي دفعتُ فيها مئات الآلاف في المزادات التي طالما سحبتني إليها كالبقرة، تحلب أموالي وقتما تريد وأينما تقرر. بقدر ما أحببتها كرهت نفسي. كلما نظَرتْ "نور" في عيني باغتتني بجملتها البريئة "بابا... عينيك مبلولة ليه؟ إنت بتعيط؟". هي تستشعر البكاء قبل أن يصل إلى المقلتين، تستشعر بكاء القلب كأنها ترى العصرة والحسرة. وكله كوم وأم سميرة كوم آخر، أفهم حين أراها إحساس "الأم المكلومة". عرفتُ أن الأم المكلومة هي التي تُسمَعُ "نهنهاتها" في أي وقت من الليل، أوله وآخره، سَحَره وفجره. الأم المكلومة هي التي تضع أنفها بين ملابس ابنتها، ولا تغير ملاءة سريرها، تتشمم عطرها وعَرَقَها على حد سواء، وتنتظر... الأم المكلومة دائمًا تنتظر!

t.me/qurssan

باسم منصور (18 مارس 2016)

لم يكن الحظ متوقعًا لأن يكون أفضل مما هو عليه الآن. أمرنا إسماعيل أن ننتقل للعيش معًا في شقته حتى نكون أقرب إلى حالة التدريبات الدائمة، ولكي لا ننفصل نفسيًّا عن المهمة التي نحن بصددها، نقلتُ أغراضي من الغرفة المكتظة ببيت المغتربين، وأجلسُ الآن في غرفة مشتركة مع علي، لي فيها دولاب وسرير وشباك ولوحات فنية قيِّمة، وتسريحة عليها أطايب العطور و"كريمات" البشرة والشعر. كدتُ أنكفئ على قدم إسماعيل لأقبلها حين أخبرني بأمر الانتقال إلى شقته الواسعة، ووضعني في هذه الغرفة الجميلة. وأنا مَن أنا؟ "حتة" طالب في نهائي طب نهارًا، وحارس على شركة FM للأدوية ليلًا. بينما هو الرجل "الكُبَّارة" ابن الأصول، يليق في أي ملبسٍ يرتديه ابن المحظوظة؛ إذا ارتدى أحد جلابيبه الواسعة المعطرة، بدا كما لو

كان "معلِّم" في سوق الفاكهة لا تلمس يداه إلا المانجو والتفاح والفراولة، وتدبُّ حمرة العافية في وجهه رغم سَمَار بشرته المدموغة بشمس الأقصر. وإذا ارتدى البدلة الكلاسيك بدا كما لو كان أحد بشوات حزب الوفد أيام ثورة 19، وتكون حمرة الخدين آنذاك هي حمرة الديوك الرومي وكشك الألماظية.

حتى مسئولياتي التي تركتُها خلفي في دمياط، أصبح إسماعيل يلملمها ورائي على حداثة عهدي به وصداقتي معه. عملي في الحراسة لا يسمح بأن أرسل مبلغًا كبيرًا إلى أمي وأبي وأخواتي البنات، ودخلُ أبي كسائق تاكسي، لا يشبع كافة ثغرات الحياة. بهية طالبة في الثانوية العامة، وبثينة تلميذة في "ثالثة ابتدائي"، وطاحونة الدروس الخصوصية تَدْرُس كل ما يقع بين رحاها. أمي تدبر البيت قدر المستطاع لكنها لا تضرب الأرض فتطرح بطيخًا.

لا يتسامح أبي في تأخير المعلوم الشهري الذي أرسله له، ولا يحسب حسابًا للحياة الغالية في القاهرة، من إيجار إلى ملبس إلى مأكل إلى متطلبات الكلية. ما لي أنا وهذه المسئوليات المبكرة؟ ألا يكفيه أنني لا أطلب منه أبيض ولا أسود!؟ على أي حال، الحمد لله أن رزقني بإسماعيل في الوقت المناسب، ووجدتُ أخيرًا من يتدبر أمري، ويحمل عني عناء التلفيق والتصريف من هنا وهناك. أخيرًا سأودِّع الشقاء إلى غير رجعة، وأحيا هذه الحياة الرغدة، ثم أُحسب في النهاية من الأبطال، ويكتب مؤلفو المسلسلات أعمالًا درامية تحمل الجملة السحرية "من

t.me/qurssan

ملفـات المخابـرات المصريـة" وتتحـدث عنـي دميـاط بأكملهـا. المجـد بانتظـارك يـا باسـم.

الحيـاة مـع عـلي في غرفـة واحدة لا تشـكل لي عبئًا عـلى الإطلاق، فكونـه صامتًـا معظـم الوقـت هـي الميـزة الكـبرى في شـخصيته. حين أنغمـس في المذاكـرة أنـسى وجـوده عـلى السريـر المجـاور لي لبضـع سـاعات، ثـم أفاجـأ بـه يتحـرك أو يتنحنـح أو يـرد عـلى الهاتـف. عـلى أي حـال هاتفـه لا يـرن كثـيرًا، ويبـدو أنـه ليـس لـه علاقـات خـارج إطـار المجموعـة، رغـم وسـامته التـي أحسـده عليهـا. شـعره الأسـود الفاحـم الناعـم، وبشرتـه السـمراء، ووجهـه المسـتدير ذو العيـون البُنيـة، تجعلـه أقـرب الشـبه برجـل إسـباني ذي جسـد مثـير، ربمـا أشـبه بــ أنطونيـو بانديـراس، خاصـة بعدمـا رأيـت عضـلات صـدره القويـة بينـما كان يبـدل ملابسـه. صوتـه أيضًـا رجـولي جـدًا ويحمـل ذبذبـات رخيمـة، كأنـه مذيـع راديـو أو حـكّاء "حواديـت".

t.me/qurssan

ناديا سالم (30 مارس 2016)

كنتُ قد تخطيت الثلاثين بعامين حين قابلتُه للمرة الأولى، تعارفنا بشكل عادي وروتيني على (الفيسبوك)، عندما كتب تعليقًا وتحليلًا طويلًا للمسرحية الشعرية التي صدرت لي مؤخرًا، تعليقًا ساحرًا ومؤثرًا، لا يصدر عن ضابط. خاصة في هذا القطاع الشرس، أمن الدولة. أذكر أنني كنتُ أمرُّ بأحلك فتراتي العاطفية والاجتماعية بعد فسخ خطبتي. كنتُ على وشك الانتحار أو الإلحاد.

لم أكن أخشى الموت، بل أطلبه بكل نقطة دماء تسري في عروقي، وما أوقفني عنه غير السمعة "الهباب" التي ستنال أبي وأمي، الرجل الطيب والست المنطوية، ناهيك من وقف حال الأختين الأصغر مني. وجدت أن الإلحاد هو الحل، فأين يقبع ذلك الإله الكبير العظيم الذي يعبث بكرات الصلصال

في وقت فراغه -ووقته كله فراغ- ليشكّل منها هذا الكائن المتحدث السمج "الـ إنـ ســا ن"، ثم تروقه الهيئة فيصنع منها ملايين الملايين مرارًا وتكرارًا؟ يا لها من لعبة سخيفة لا تليق بأن تكون لإله!

في ذلك التوقيت الحرج من حياتي، ظهر تمامًا كالساحرات الطيبات اللاتي يأتين في الثلث الأخير من "الحدوتة"، ليلمسن قلب الفتاة بالعصا السحرية، فتنقلب الفساتين إلى الأبيض والأزرق والشفاف، ويتلون الهواء بقوس قزح، وتصعد الشجيرات الصغيرة إلى طرف شباكي، لأصحو على نقرات العصافير. في ذلك التوقيت بالضبط ظهر إسماعيل.

كان أبي يجمعنا حوله صغارًا، ويحكي لنا عن سندريلا التي خطفت قلب الأمير، وكيف أنه قلب البلدة رأسًا على عقب، يبحث عن الفتاة صاحبة "فردة" الحذاء. أبي يتخصص في "الحواديت" والحكايا، وأمي بالكاد تلتقط أنفاسها من عملها في وزارة الإرشاد القومي -الإعلام حاليًا- ثم تجري داخل المنزل تطبخ وتنظف وتساعدنا في مذاكرة دروسنا, وتستأذن مبكرًا من عملها، لتأتي إلى مدارسنا تتابع مستوانا مع مُدرِّسينا. كل أمهات هذا الجيل كُنَّ على هذه الشاكلة، وأمي منهن. لم يكن رأسها يفرغ من تفاصيلنا الصغيرة الأكثر والأهم من تفاصيل الحواديت. لكن حضنها وضمَّتها لنا كل مساء، كانت أحلى من كل حواديت أبي وساحراته الطيبات وأمرائه الوِسام.

t.me/qurssan

تكررت سندريلا في أحلامي كثيرًا، لكنني أصبحتُ أرى نفسي مكانها، وأرى إسماعيل مكان الأمير. تكررت مقابلاتنا في اللقاءات العامة والندوات التي أتواجد فيها، وبالتالي يحرص هو عليها. تعارفنا فتقاربنا فتصادقنا، وها أنا الآن أحمل منه جنينًا عمرها -كما قال الأطباء- ستة أشهر. كان اعتراف حبه لي، هو "الأشيك" والأكثر أناقة فيما رأيت وشهدت وقرأت في قصص الحب، أجمل بكثير مما فعله الأمير ليجد سندريلا.

يدعوني إلى مسرحية في الهناجر تنتهي في التاسعة، ثم يفاجئني بأن حجز لي سيارة أجرة (فأنا لم أوافق قط أن أستقل معه سيارته)، يودعني إلى باب السيارة، وعندما تنطلق بي في اتجاه المنزل يتصل بي، ويطلب أن أفتح العلبة التي بجواري على الكنبة الخلفية: وردة حمراء وخاتمًا من الفضة التي أعشقها أكثر من الألماس، محفورًا عليه اسمي "ناديا" وزجاجة من عطري المفضل، وورقة بيضاء بها كلمة واحدة متبوعة بأحلى علامة استفهام أبصرتها عيناي "تتجوزيني؟".

لم أكد أشعر بفترة خطبتي منه، مرَّ الشهران كالحلم الجميل السريع. ووجدت نفسي فجأة أجلس جواره في فرح كبير "بأوتيل 5 نجوم" يطل على نيل الزمالك، ويغني حولي عمرو دياب وتتراقص أمامي بخفتها ورشاقتها دينا. أسرتي ليست بالفقيرة ولا بالغنية، ورغم ذلك انبهر الجميع بهذا الفرح الأسطوري الذي لم نرَ مثله إلا في التلفزيون. جميع أصدقائه الذين اكتشفت لاحقًا أنهم أفراد المجموعة "أ"، كانوا فَرِحين من قلوبهم ويظهر

ذلك في عيونهم، إلا سميرة. أنا لا أخطئ العيون أبدًا. وعيون سميرة يومذاك كانت لا تحتوي إلا النار والأجيج.

أحيا بجوار إسماعيل في حلم واسع جميل، لا يؤرقه سوى الاجتماعات التي يعقدها لأفراد مجموعته، والتدريبات الثقيلة التي يدربهم عليها، وعلي أنا أيضًا، باعتباري أصبحت واحدة منهم، مُرغمة غير مخيَّرة. أتذكر يوم فاتحني في الأمر، وعرض علي الانضمام، لم يكن بإمكاني التنصل من خدمة كهذه، لهذا البلد الطيب المنهوب الواقف على عتبات الحد الأدنى في كل شيء. أشعر بالفخر لما يمكنني أن أحكيه لابنتي، عن مغامرات وصولات وجولات قضتها أمها، تدافع عن حق غيرها في الحياة والأمان والعدل.

كنتُ أتعجب أن يحبني رجل صعيدي الأصل، وأنا أبدو على هذه الطلّة المنفتحة؛ أرتدي "التنورات" القصيرة حتى الركبة، أدخن السجائر أمام الجميع عدا أفراد أسرتي، وشعري القصير في لونه الأحمر الجديد، لم يزدني إلا تمردًا وشراسة في أعين الناس. حتى حينما أرتدي البناطيل الجينز كنظيراتي، أعرف أنني أكون جميلة ومثيرة، حينما أرتدي معها القميص الرجالي القصير، وأشمر أكمامه حتى المرفق، وتبدو حدة عيني من خلف زجاج النظارة كأنها رصاصة تخترق قلب من أمامي مباشرة.

لكنني تفهمتُ على مدار الأيام رغبته القوية التي تقوده دون أن يدري، لقتل كل ما تأسس بداخله في الصعيد. خصلات شعره الطويلة حتى أسفل رقبته من الخلف، ملابسه الغالية

t.me/qurssan

والألوان الفاتحة "البناتي" التي يختارها لملابسه، الأثاث "المودرن" الذي اختاره لتأسيس هذه الشقة، والأجهزة الغالية التي جهَّزها بها، جلسة "المساج" والتدليك التي يوفرها له باسم كل أسبوعين، بما فيها من حمامات عناية بالبشرة والشعر، حتى تنظيف الوجه بالفتلة يقوم به باسم لإسماعيل! هذا بخلاف اللغة القاهرية التي يقحمها إسماعيل في كلامه، حتى تنسحب أمامها الألفاظ الصعيدية. كل ذلك يعني لي أنه -تدريجيًّا- يقهر الصعيدي الفقير الذي كانه قبل سنوات.

t.me/qurssan

علي (14 إبريل 2016)

لا أذكر تحديدًا كيف بدأ هذا الحوار الساخن ولا من بدأه، لكنني أتذكر أنني وجدت نفسي فجأة أقف وسط دائرة المتحدثين دون أن يدعوني أحدهم للمشاركة، فقط لأنني سمعت اسم "حبيبة". تناثرت بعض الكلمات: إجازة، خطبة، فستان، مهندس... وجدتني أقف بينهم أبحثُ عنها، أُطالبها غاضبًا بتفسير لما سمِعتُ، وأرجوها أن تنفي كلَّ ما قيل. لا أجدها معهم ولا في أي مكان، انتظرتها طوال اليوم ولم تأتِ. استعرت النار في صدري، برغم كرهي لها، كيف تجعلني آخر من يعلم بمثل ذلك الأمر؟ ألم يخطر ببالها أنني أتلقف أخبارها وأختلس النظر إليها، بل وأسير خلفها أحيانًا، لأتشمم الرائحة المنبعثة من شعرها الطويل، الطويل جدًّا؟ ألم يبلُغها كم أكرهها!؟

لم أستطع الانتظارَ إلى الغد، أخذتُ عنوانها وذهبت إلى بيتها، متعللًا ببعض الأوراق التي لا يمكنها أن تنتظر إلى الصباح. بينما تعدُّ والدتها فنجانًا من القهوة سألتُها: "هتتخطبي يا حبيبة؟" تنهَّدت وحبست دمعة بعينيها، ونظرت تجاه باب الغرفة، اقتربتُ من الكرسي الذي تجلس عليه، ومددت يدي لأمسك ذقنها، انتفضت واتجهت إلى الباب:

- من فضلك ماما جاية متسببليش مشاكل.

- أنا مش هسببلك أي مشاكل، أنا بس عايز أعرف الحقيقة منك.

- لسه مش عارفة. لما أقرر هقولكو.

- أقولكو؟

- أيوة. الزملا كلهم يعني.

- طب وأنا يا حبيبة؟

- (تفنجلت عيناها وعقدت يديها فوق صدرها واتجهت نحوي ببطء) إنت؟ إنت إيه؟ إنت واحد بيكلمني ف المكتب بالعافية. مفيش مرة طلبت منك طلب وعملتهولي من أول مرة، مفيش مرة اتصلت بيك بعد الشغل ورديت عليا، مفيش مرة شوفت حد بيحاول يتقربلي واتدخلت، عايز مني إيه دلوقتي؟

- يمكن عندك حق.

- مش يمكن!

t.me/qurssan

- طيب. طيب يا حبيبة، عندك حق، تقومي تقرري فجأة تتخطبي وتتجوزي و... وتبعدي عني؟
- هو إنت قريب؟
- عايز أقرب.
- كنت قربت من بدري.
- (اقتربتُ منها وفككتُ يديها المعقودتين أمامها وأمسكتهما بين يدي) طب لو قلتلك بحبك!؟
- (خطفت يديها بقوة) إنت جاي تفاصل؟
- بلاش "لو"... أنا بحبك يا حبيبة... بحبك.
- بتعمل كده عشان حسيت إني هضيع.
- لأ. أنا بحبك، حتى لو قررتي إنك تضيعي، حتى لو مش هترجعي تاني، أنا قررت أقولهالك حتى لو متأخر، وجيت أقولها سواء هتسمعيها أو لأ. (أمسكتُ يديها ووضعتُها فوق صدري) أنا... بحبك... بحبك. (استدرتُ لأخرج من الغرفة، فاصطدمتُ بوالدتها لدى الباب تحمل فنجانًا في صينية فضية. شكرتها وتعللتُ بالعمل لأخرج مُسرعًا، فطلبت الأم من حبيبة أن توصلني إلى الباب).
- هستناكي بكرة في المكتب.
- أنا واخدة أجازة 3 أيام.

- هستناكي. وبالمناسبة، متبقيش تفردي شعرك على ضهرك كده، الناس عيونها مبتنزلش من عليكي، لِمِّيه أحلى. اعمليه كحكة.

- كحكة؟

- آه كحكة. عيشي عيشة أهلك. سلام.

لم أعرف الحب أبدًا قبل حبيبة،عرفتُ من النساء كثيرات، وعشت بدايات الحب كثيرًا، فقط البدايات، لكنني كنت أفرُّ كمن رأى لينًا يسنُّ نيوبه ليغرسها في قلبه. يدقُّ قلبي لعدة أشهر وربما أسابيع، ثم أشعر بالانضباط، ثم الالتزام، ثم التورط، ثم المسئولية تجاه العلاقة، ثم العبء، ثم الاختناق. ولا يعود صدري يتنفس إلا عندما تنتهي هذه العلاقة، تكرر ذلك أكثر من مرة، ولم أرتبط بفتاة إلى ما يزيد عن العام الواحد. أعرفُ أن هذا الاختناق لن يحدث مع حبيبة، ليس عندي دليل واحد على ذلك، لكنه قلبي الذي "اتخطف" ما إن رآها تدخل المكتب أول مرة، أكد لي أنها الأخيرة التي ستدخل هذا القلب، وستغلقه خلفها إلى الأبد.

t.me/qurssan

باسم (18 إبريل 2016)

التدريبات التي يضعها لي إسماعيل صعبة وتحتاج إلى تركيز، وأنا بالكاد أوزع تركيزي بين أقسام حياتي: الدراسة والعمل. وليس هناك مكان في عقلي لتدريبات إسماعيل، بالإضافة إلى مكالمات أمي التي تؤنبني دائمًا، أنني لم أسافر لرؤية أبي المريض منذ عدة أشهر. هو لا يقدِّر أنني بالكاد أفتح عيني لتناول وجبة عشاء خفيفة، قبل أن يسقط الطعام من يدي ولا أشعر بجسدي إلا بعد عدة ساعات.

كل منَّا له حظ مع أناس بعينهم أكثر مما له مع آخرين، وهكذا كنتُ أنا مع أبي. كان يفخر بكوني ابنه الذكر الوحيد، ومُخلِّد اسمه، بينما تسخر أمي من هذا الفخر، وتسأله دائمًا عن وجه الإنجاز في أنه أنجب ذكرًا، فالناس تنجب الذكور منذ أنجبت حواء قابيل وهابيل. وبالطبع كان ذلك لصالح أخواتي

البنات، اللاتي يسمعن كلامها دائمًا وتحركهن كبنان أصابعها. البنات يجلسن في حضنها، البنات يأخذن المصروف الأكبر، بينما أنا أُلام على أنني أقترض منهن رغم التعويض الشهري الذي يعوضني به أبي، رغم قصر يده.

وأحيانًا بدون أن أطلب كانت أخواتي البنات يضعن النقود تحت وسادتي، وهنَّ لا يشعرن أني مستيقظ، أو أنني أشعر بدبيب خطواتهن البطيئة. لكنني لم أتسامح يومًا مع كونهن أقرب لأمي، وأنها تحب البنات أكثر من البنين. عائلة أمي كلها على هذا الوضع، يفضِّلن البنات ويمنحهن ما لا يُمنح الذكور. كم تمنيتُ وأنا صغير أن أكون بنتًا كي أحظى بهذا الاحتضان الطويل من أمي! وهي أيضًا طالما قالت "ياريتك كنت طلعت بت كان أحسنلي بدل مانا مش مستنفعة منك لا بت ولا واد".

أنا الفتى المدلل من أبيه والمضطهد من أمه. هي تقول إنها تربي رجلًا لا بد أن يعتمد على نفسه، وهي لا تعرف أنه لكي يصير الرجل رجلًا، يجب أن يبني رجولته على نساء يخدمنه، ويقطعن من أنوثتهن ما يُرقِّعن به ثغرات رجولته حتى تكتمل. الأنثى طبيعتها النقص، بينما الرجل لا يرضيه إلا الكمال ولا يقبل ما هو دونه.

ورغم ذلك، رغم اعتزازي برجولتي، استجبتُ لأمر إسماعيل في تدريبي الأخير. لا أعرف لماذا اختصَّني أنا وحدي بهذا التدريب دون شباب المجموعة كلهم! جمعنا إسماعيل ودخل في الموضوع مباشرة دون تمهيد:

t.me/qurssan

- باسم، من هنا وطالع إنت ست البيت، طبعًا مش أعلى من سميرة، لكن إنت هتبقى المساعدة بتاعتها. تاخد من هدومها إللي ياجي على مقاسك، وهتعمل مكياج طول الوقت اللي تكون موجود فيه في الڤيلا. هتقف في المطبخ وتكنس الأرض وتغسل مواعين، وهيبقى اسمك في وقت التدريب "فوزية". والكل هنا مأمور إنه يلتزم بالاسم ده، إللي هسمعه بيقول باسم هقطع رقبته. ولو قابلتك في البيت لابس حاجة رجالي مش حريمي، ولا مش ملطخ وشك بالروج والكُحل هقطع رقبتك إنت كمان. المفروض إنك بتأدي دور شغالة، يعني اللي يتطلب منك تعمله من غير نمردة ولا اعتراض. أنا عارف إن وقتك بره البيت ضيق، عشان كده اخترتلك تدريب هيِّن عليك وسهل، وجوِّه البيت عشان تلحق تذاكر.

ناديا لم تناديني بهذا الاسم "فوزية" قط. كانت تتعمد ألا تنادني من الأساس، حتى لا تضطر إلى جرح مشاعري، "أنا عايزة آكل كذا لو ممكن، إذا أمكن ياريت أوختي تتنضف النهاردة لما الوقت يسمح". كانت تلتزم بالأمر الذي لديها، بأن تطلب مني أشياء أقوم بها يوميًّا، وحاوَلَتْ قدر المستطاع أن تطلبها دون إهانة رجولتي المجروحة خلف هذه "الچيبات" ومريلة المطبخ.

بينما سميرة تعاملني على أنني "الدادة" المساعدة لها بالفعل، لا تتجبر في معاملتها، لكنها كما لو كانت صدَّقت كوني أنثى. تعاملني بحنان الأم، أو الأخت الكبرى التي وجدت

لنفسها أخيرًا أنثى مثلها تُسلي وحدتها. تقف معي في المطبخ تعلمني أصناف الطعام، بينما أنا عقلي منشغل بحالات المرضى التي أتابعها في المستشفى، تعلمني كيف أقطع البصل، وأنا لا أرى أمامي سوى صورة المريض، الذي خيطنا له إصبعًا مقطوعًا في الطوارئ بالأمس.

t.me/qurssan

سيد يوسف (1 مايو 2016)

نحن ندمن الأشخاص تمامًا كما ندمن المخدرات، نتذكرهم في نفس مواعيد اللقاء التي اعتدناها، وتروغ عقولنا والأبصار، نتوهم أننا نسمعهم أو نبصرهم، تنتابنا نوبات الضحك الشديد والبكاء الشديد في نفس الوقت، نضع أيدينا فوق أماكن اللمسات والقبلات نتحسسها بشدة، وحين تشتد نوبة الاحتياج، نهرع إلى ملابسهم نتشمم رائحتهم ونحتضن أشياءهم، ثم نبكي وننام.

لا يمكن للإنسان أن يترك حياته ومصيره، كورقة صفراء ضعيفة مُعلقة في طرف غصن هزيل، تذهب به الرياح وتأتي، حتى تتخذ الشجرة قرارًا أهوج بالتخلي عنه، وتلقيه تحت أقدام العابرين، دون أن تهتز لأصوات التحطم الصادرة عن دهس الأوراق التي سبقته. لذا، قررتُ في أكثر اللحظات

مصيريـة في حيـاتي، أن أذهـب إليهـا وأسـتعيدها، لـن أتركهـا لوغـد خـادع يسرقهـا منـي.

رأيتهـا وهـي خارجـة مُسرعـة مـن بـاب مكتبهـا، حينـما وصلـتُ إلى سـيارتها كانـت قـد انطلقـت. ولـو... لـن أتركهـا اليـوم حتـى وإن لففـتُ وراءهـا الكـرة الأرضيـة مـن قطبهـا الجنـوبي إلى شـماليها، عـدتُ إلى سـيارتي وتعقبتهـا. لسـتُ متأكـدًا أنهـا رأتنـي في مرآتهـا الأماميـة، فهـي دائمًـا تـأتي عنـدي وتصبـح عميـاء بجـدارة، لا تـكاد تبـصرني وإن أصبحـتُ طـول الجبـل وعـرض البحـر.

توقَّفـتْ أمـام بيـت لا أعرفـه؛ ڤيـلا صغـيرة في مـكانٍ هـادئ متطـرف، محاطـة بمجموعـة ڤيلات مشـابهة، تـكاد تبـدو مسـكونة، ولا يصـدر عنهـا أثـر لبـشر.

فتحـت بـاب الڤيـلا بالمفتـاح! هـل تمتلـك سـميرة هـذه الڤيـلا دون أن أعلـم؟ أم هـو بيـت عشـيقـــ..

هـذا الطبيـب الجاهـل! قـال إن الكتابـة سـتنجح، وهـا أنـا تعطَّلـتُ في كلمـة واحـدة مـن القصـة الكاملـة. كيـف لم يخطـر ببالـه أني لـن أقـوى عـلى كتابـة كل الحقائـق!؟ كيـف لم يتصـور أن وصـف الأمـر عـلى حقيقتـه المجـردة أصبـح أمـرًا أقـوى مـن قـدرتي؟ أيعجـز كل الطـب النفـسي بأطبائـه ومعالجيه وعقاقـيره، أن يجعلني أسـتوعب مـا جـرى لي ومـا أنـا فيـه الآن!؟

خَرَجَـتْ سـميرة بحـالٍ غـير التـي دخلـت، وإلى جوارهـا شـاب أبيـض نحيـل، يسـير بالقـرب منهـا كأنـه عـلى اسـتعداد لأن يلتقطهـا ويسـندها إذا سـقطت عـلى الأرض. كانـت تسـير ببـطء شـديد

t.me/qurssan

وبعينين دامعتين، توجَّهتُ إليها ببطء مماثل، وتوقفتُ أمامها مباشرة، فتسمَّرت مكانها كأن لم تتوقع رؤيتي:

- نعم؟

- عايز أتكلم معاكي شوية... لو سمحتي.

- (حاولت المرور من جانبي دون أن تنظر إلي فأمسكتُ ذراعها بقوة) سميرة مش هسيبك. أرجوكي لازم نتكلم مينفعش كل حاجة تخلص كده.

- (نظرت إلي بهدوء، وابتسمت حينما وقعت عيناها على شعري المُصفف بعناية كما تُحب، ولحيتي المضبوطة على الطول الذي تُفضله)... لأ براڤو. الاجتهاد واضح. بس معلش مفيش نصيب.

- أنا لسه بحبك، ومش قادر أعيش من غيرك، ارجعيلي وأنا هسامحك، هنسى كل اللي حصل، أو يعني هحاول أنساه وانتي هتساعديني، ونبتدي حياة جديدة، هعملك فيها كل اللي تحبيه. بس ارجعيلي.

- (انفعلت فجأة كمن فاض به من شحاذ يلاحقه) يا أخي إنت إيه؟ جبلة؟ حيوان؟ مش راجل؟ بقولك أنا مبحبكش، خلاص مش قادرة ألمسك ولا أشم ريحتك، ولا أتصورك قدامي ف أي مكان. خلي عندك كرامة بقى وسيبني في حالي.

- (صمت قليلًا غير مصدق، لأن هذه التي تقف أمامي كانت يومًا زوجتي) حاضر، هفارقك ومش هتشوفيني تاني،

بس والله يا سميرة وحياة بنتنا ما هيحبك أكتر مني، ولا هيحفظك قدي، أنا حافظك زي كف إيدي دي، أقولك بتتقلبي كام مرة بالليل وانتي نايمة؟ أقولك دراعك ده فيه كام حَسَنة وأماكنهم فين؟ أقولك بتغيري من أنهي صباع ف رجلك؟ أقولك لما بتزعلي بتطرقعي صوابعك قد إيه؟ أقولك إيه ولا إيه يا سميرة!؟ روحي يا شيخة... حتى الدعوة مش قادر أدعيها عليكي.

لا أعرف كيف ومتى تصلَّب قلبها إلى هذا الحدِّ؟! أين كنتُ حين تعرَّفت إليه وأحبَّته إلى هذه الدرجة؟! أكنتُ ألفها بذراعي كل ليلة وهي تتخيلني آخر؟ أكانت تقابله في شركتي وربما في بيتي، وأنا مُعمَّى القلب والعينين!؟ يقولون إنه لا جرم كبيرٌ على التسامح، وإن القلب النقي يمكنه أن يغفر أي شيء. أنا لن أفعل يا سميرة، لن أسامحك ولن أغفر ولن يصفو لكِ قلبي، حتى وإن لم يستطع لساني أن يدعو عليك بأي سوء.

كان صراخ نور هذه الليلة أعلى ما يكون، لأنني أنا أيضًا كنتُ داخل غرفتي أصرخ وأسبُّ الكرسي الفارغ وأضربه بكل قوتي. نور تصرخ ووالدة سميرة تخبط الباب بقوة، لا أعرف كيف استطاعا الدخول إلى الغرفة، لكنني سمعتُ صوت الطبيب النفسي، وشعرت بيدين تدفعانني إلى السرير وشكة الإبرة تدخل في ذراعي، بينما أنا مُقيَّدٌ ولا أرى من يقيدني، حتى أظلم المدى الذي تبصره عيني.

t.me/qurssan

محجوب إبراهيم (12 يونيو)

هل هذا ذنب سامية؟ هل هذا حبها الذي سحقتُه بقدمي وذنب الصبيين الصغيرين؟ لم أتوقع يومًا أن أسمع من إسماعيل تلك الكلمات التي ألقاها في أذني مساء عدتُ من بيروت. كانت المرة الأولى التي أزور فيها بيروت بعد علاقتي بسميرة، وأنا أعلم جيدًا ماذا تعني لبنان بالنسبة إليها. عدتُ محملًا بمستحضرات التجميل التي تفضلها، وأنواع البخور والخمور... غريبة هي تلك المرأة؛ يمكنها أن تشرب الڤودكا على رائحة البخور، وأن تحمل بإحدى يديها سكينًا لتقتل إنسانًا، وفي اليد الأخرى تحمل مسبحة!

كان استقبالاً باردًا من إسماعيل بعد غياب شهر، وهو الذي لم يعتد فراقي في الآونة الأخيرة مُطلقًا، خاصة بعد أن انتقلنا جميعًا للمعيشة معه في بيته، وتركت شقتي الكبيرة

بالـ "مهندسين" لسامية وأولادها حتى تتدبر أمورها. ما إن انتهيت من حمامي، طلب إسماعيل من الجميع أن ينصرفوا إلى غرفهم، لأنه يريد أن يناقش معي تفاصيل الرحلة. لم يبدُ على ملامحه أي اهتمام بالرحلة، ولا بما فعلتُ وما لم أفعل. وبعد عدة أنفاس التقطها من سيجارته، سألني إن كنتُ فعلًا أحبُ سميرة وأنوي الزواج منها!

كان سؤالًا غريبًا في توقيته وطريقة إلقائه، أيسألني الآن إن كنتُ أحبها بعد كل ما حدث بيننا؟ حينما أجبت إجابة نمطية تقليدية، بأنني أنتظر زواجنا بفارغ الصبر، اعتدل في جلسته وأطفأ السيجارة التي لم يُكملها، ثم نهض واقفًا. سألته بتوجُّس إن كان مكروه قد أصابها في غيابي، ولم يكن يخطر ببالي ما سيقول.

- إنت عارف يا محجوب إن الحب ده هبة من هبات ربنا للبني آدم، لكن ساعات النفس البشرية الوسواسة بتلعب بالهبة دي وبتخليها تحود عن طريقها شوية.

- يعني إيه؟ مش فاهم.

- الموضوع باختصار إنك لازم تهتم بسميرة جدًّا جدًّا. وتوريها منك الحب والتدليل اللي في الدنيا كله، بس مش بسهوكة وحسوكة و"جلع" زي ما بيقولوا في الصعيد. انشف عليها وخليك راجل قدامها، بس راجل حنين ومراعيها.

- إيه اللي حصل؟

t.me/qurssan

- بصراحة شديدة سميرة جتلي من كام يوم وكانت حالتها سيئة جدًّا، باكية ومابتنامش ومتبهدلة ع الآخر، وطلبت بوضوح إنها تفسخ علاقتها بيك. وكان واضح من كلامها، أو يعني هي قالت في وسط كلامها إن فيه راجل تاني تحب ترتبط بيه، لكن متقلقش أنا فهمتها إن طاقة الحب اللي جواها اتوجِّهت غلط، وأنا واجبي إني أعيد توجيهها. وهي نزلت من هنا عارفة وفاهمة إنها خلاص مش هتتجوز حد غيرك، وملهاش عيشة مع راجل تاني. هي كمان هتبذل مجهود عشان تعيد توجيه طاقة الحب جواها للشخص اللي يناسبها، إللي هو إنت.

- مين الراجل التاني؟

- مش مهم. إللي ليك خلاص عرفته، أكتر من كده يبقى تعدي على أسرارها هي.

- أنا مُصر أعرف، ومن حقي تقولي...

هل أكون وقعتُ بين امرأتين بهذا التناقض، أخون واحدة وتخونني الأخرى؟ يمكنني أن أصرف نظري عن زواجي من سميرة في الحال، لكن ذلك سيغضب إسماعيل، وأنا لا طاقة لي بغضبه. هل أغضبه بعدما تغافل عن مواعيد تسديد إيصالات الأمانة ولم يقدمها إلى النيابة؟ وإن اعتبر عدم زواجي من سميرة مخالفة لأمر من أوامره، فإنني لن أبيت تلك الليلة في القيلا ولا حتى في الشارع، هذا إن عاملني "رسمي"، أما إذا عاملني بنفوذه في الجهاز، فلن أبيت الليلة من الأساس، ولن يطلع عليَّ صباح.

لا بـأس يـا سـميرة، لا بـأس. فلتفعـلي مـا تشـائين حتـى تأتـين تحـت إمـرتي وتحـت ضرسي.

t.me/qurssan

حبيبة سعد (18 يونيو)

كنتُ بصحبة "علي" نتناول الغداء في مطعمنا المفضل بالزمالك؛ نتسامر ونتبادل حكايا من هنا وهناك. حين ينظر في عيني بعمق، أشعر كأن الشمس فوق رأسي، وحين أهرب بعيوني ثم أعود إليه، أجد عينيه تمرحان على جسدي تتفحصه. لم أشعر منه بشهوة حيوانية مبتذلة، بل كان حبًّا رائقًا ورغبة حقيقية في حفظ تفاصيلي، كأنني أخصه بكل ذرة في. حينما كان يفتعل المواقف ليلمس يدي، كنتُ أرتجف وأسحبها خجلًا لا رفضًا.

كان يومًا كالحلم، غير أن علي يتغير أحيانًا كأن عفريتًا قد تلبَّسه. كلما يرنّ هاتفه يتوقف عن الطعام وينتفض من جواري إلى بعيد، يقضي مكالمته همسًا ولا يكاد يلتفتُ إلي إلا بطرف عينه، شعرتُ أن ثمَّة امرأة في الأمر، أشرتُ إليه بأني متجهةٌ

إلى دورة المياه وأومأ إلي برأسه، وما لبث أن استدار وأعطاني ظهره، حتى اقتربتُ منه بخطوات سريعة وتظاهرتُ بأني تعثرت ووقعتُ بين ذراعيه، اقتربت أذني من الهاتف، وسمعت صوتها، نعم، هي امرأة، امرأة يناديها في الكلام بـ "عُمر"، سمعتُها بأم أذني تقول شيئًا بصوتٍ عالٍ، وكأنها منفعلة أو متحمسة. لم أتبين أي كلمة في تلك اللحظة الخاطفة، لكن لا يُمكنني أن أخطئ صوت أنثى حين تتحمس. أنثى اسمها عمر!

خرجتُ من المطعم بمشاعر أخرى غير التي دخلتُ بها. ذبلت ملامحي فجأة وشاخ وجهي، فلم أستطع الابتسام أكثر من إمالة خفيفة بشفاهي. هل كانت له علاقة ما قبلي وهو الآن ينهيها، أم أنها علاقة عابرة وسيصارحني بها، ثم يبكي أمامي فأسامحه ولا يعود إلى مثلها؟ هل تحبه أم تتلاعب به؟ وماذا عنه؟ وأنا... ماذا عني؟

حين تُحدِّثك الظنون داخل رأسك، لا يسعك إلا أن تسمع، فلا هي تسكت ولا هي تأتيك بالحقيقة واليقين. خيالات تتولد عن خيالات تنال منك قدر استطاعتها، وقدر استسلامك، ولكني لم أكن يومًا بهذا الضعف، أنا سيدة الموقف على دوام حياتي، سيدة قراري واختياري.

- ألو... علي، سؤال من فضلك، مين عمر إللي كنت بتكلمه النهاردة واحنا بنتغدى؟

- ...

- علي... أنا بتكلم.

t.me/qurssan

- أيوة أنا معاكي. عمر ده واحد صاحبي هبقى أحكيلك عنه في الوقت المناسب.

لم أفكر في رد فعل لهذه الأكذوبة التي توقعتُها بالطبع، حينما أغلقت سماعة الهاتف في وجهه، لم يكن ذلك رد فعل مناسب، لكنني لا أفضِّل دخول الحرب الخاسرة، حينما نحارب، إما نحارب بشرف وعلى أرضٍ تستحق، وإما نترك الأرض لمن يحتلها إن كانت لا تستحق عناء الحروب من أجلها، علي يكذب ولا يستحق... وأنا لن أحارب لاكتسابه!

لم يأتِ إلى العمل في اليوم التالي، ولم يحاول أن يهاتفني، لكنني وجدته يستند إلى سيارتي في "الجراج"، ركبتُ السيارة وأغلقت بابي خلفي. ركب إلى جواري دون أن يستأذن، لم أنظر إليه ولم أوجه إليه كلمة. أخرَجَ هاتفه واتصل برقم ما وفتح مكبر الصوت، كنتُ أسمع جرس الهاتف يرن، قلبي يخفق بشدة ولا أعرف السبب، فوت مطلع الكوبري المؤدي إلى طريق منزلي. الهاتف ما زال يرن، ثم أجابت امرأة، إنها هي! ذات الصوت المنفعل الذي سمعتُه بالأمس، والغريب أن ناداها علي بنفس الاسم، عُمر!

- ألو... إزيِّك يا عمر أخبارِك إيه؟

- الحمد لله تمام يا عمر. إنت فين؟

- أنا بتحرك معاها من الزمالك.

- طيب يلا مستنيينكم.

- تمام يا عمر، يلا سلام.

- سلام.

كلاهما نادى الآخر "عمر"! المرأة عُمر والرجل عُمر، رباه ما هذا الهراء؟ هل هذه الكاميرا الخفية أو أحد برامج المقالب السخيفة التي يفعلها الرجال في زوجاتهم مثلا!؟ هل هذه خطة من علي لأشك في قواي العقلية كما فعل محمود يس مع سعاد حسني في "أين عقلي"؟ لم أُعلق على المكالمة، وتُهت تمامًا في أفكاري المرتابة إلى أن بدأني هو بالحديث.

- الشمال اللي جاي عشان ناخد الكوبري.

- ده مش طريقي.

- هفهمك كل حاجة بس خدي شمال.

أُسرعتُ من قيادتي لأصل إلى وجهتي دون أي انتباه لما قاله علي لتوِّه، تنهَّد بصوت مسموع ثم قال لي بنبرة رجاء:

- طيب اقفي هنا، هشرحلك كل حاجة.

t.me/qurssan

ناديا (30 يونيو)

لم يكن زواجي من إسماعيل وانضمامي إلى هذه المجموعة ذات التدريبات الاستثنائية ذا ثمن بخس. دفعتُ مقابل الشرف والمجد الذي أحظى به في مهمتي القادمة، التي لا أعرفُ عنها شيئًا حتى الآن. منذ زواجنا لم أكن أذهب لزيارة أمي وأبي بشكل منتظم، كما هو الحال مع المتزوجات حديثًا، وبالطبع لم يكن مسموحًا لهما بزيارتي، بحجة أن زوجي لا يحب الزيارات العائلية بشكل متكرر.

كيف أستقبل أحدًا من أسرتي في هذا "الإسطبل" الذي نعيش فيه جميعًا!؟ كيف سأقدِّم كل هؤلاء الشباب والشابات إلى إخوتي!؟ وكيف يستقبل أهلي أنني أحيا في بيت الزوجية مع غرباء؟ هم في الحقيقة ليسوا غرباء، هذه القليلا الطويلة العريضة اشترتها سميرة، بعدما أخبرها إسماعيل أن التدريبات لا

بد أن تتم في مكان بعيد عن الأعين والأسماع، وأن سرية المهمة لن تسمح بأن يشتري هو الڤيلا على حساب الجهاز الأمني. إذًا أنا أعيشُ في "ڤيلتها" وأركب سيارتها، وأشتري ملابسي وملابس ابنتي القادمة من أموالها التي لا "تخلص ولا تختل" حسب وصف إسماعيل. فكيف لها إذًا أن تحبني!؟ ألمس مشاعر كراهيتها الواضحة لي، ولا أرى لذلك سببًا، غير أنني أعيش أنا وزوجي بأموالها، لكنني لستُ الوحيدة هنا، نحن جميعًا نسكن نفس البيت، ونحيا نفس الحياة. فَلِمَ تكرهني أنا "بالذات" من بين الجميع!؟

حاولتُ أكثر من مرة أن أعبر لها عن امتناني لما تفعله للمجموعة، من تفانٍ وإخلاص وإنفاق، لكنها كانت تتقبلُ ذلك على أني سلطانة المنزل، وأنني أثني على أدائها كإحدى العاملات في حرمي، لا التجاهل ينفع معها ولا التودد. هي لم تقلْ ذلك مرة لكنني امرأة، أشم رائحة هرمونات المرأة من غيرة أو نفور أو غضب... وأنا أرى سميرة تنظر إليَّ وعيناها تشعان حرارة حمراء، وأكاد أرى لسانها يخرج من فمها، لسانًا رفيعًا وطويلًا ومشقوقًا من المنتصف، لسانًا يتحرك إلى أعلى وإلى أسفل ويمتد ناحيتي. هي تتعمد التعليق على مظهري أمام زوجي بتعليقات سلبية سخيفة: "اللون الأحمر مش حلو في شعرِك أوي"، "تفتكري هتعرفي تخسي كل اللي تخنتيه ده بعد الولادة؟".

كانت التساؤلات تلفُّ برأسي ذات نهار، وبينما أقف على سجادتي أصلي العصر، شعرتُ بماءٍ خفيف يتسرَّب بين ساقيَّ،

t.me/qurssan

اعتقدتُ أن علي الذهاب فورًا إلى دورة المياه، لكنني لم أستطع التحرك، زادت المياه بأكثر من قدرتي على الحركة، صرختُ بصوتٍ جمع كل من في الڤيلا. تأرجحت انفعالاتي بين الصراخ والضحك حتى جاء إسماعيل، قلت له وأنا أقهقه من الضحك وعيني مبللة بالدموع، وساقي مبللة بماء الولادة "أنا تقريبًا بولد... مش متأكدة".

صرخ إسماعيل فيهم جميعًا "امشي يا حيوان منك له حضَّروا العربية... بسرعة"، كانت سميرة في هذه اللحظات ممسكة بيدي، وتتجه بي إلى دولاب ملابسي، أحضرت لي فستانًا طويلًا وحقيبة الولادة المُعدة مسبقًا، وحقيبة حاجياتي الشخصية، ثم هاتفت الدكتورة التي لحقت بي إلى المستشفى. كنتُ أتمنى أن أرى أمي قبل الولادة، كنت أتوق سماع صوتها، وأن أستمد منها قوة تناسب اللحظة، لكنه رفض. ماذا فعلتْ تلك المُسِنَّة المسكينة كي تُحرم من رؤية حفيدتها الأولى لحظة ولادتها؟ ماذا فعلت كي أعاملها كالغرباء، وأخبرها بعد الولادة بثلاثة أيام كاملة!؟ ماذا كان ذنبُها الذي يعاقبها الإله عليه بإقصائها عن حياتي على هذا النحو؟ أشتاقكِ الآن يا أمي، أشتاقُ الشعور بأصابعك المرتعشة وجلدك المتغضن الرقيق، يربتون على يدي وعلى وجهي الخائف المرتعش، أشتاق دموع الفرحة في عينيكِ، لكنني بدلًا منها رأيت دموع العتاب، ولم أستطع حتى الاعتذار، فأي عذرٍ سأقول!؟

حين علمت أمي بالولادة بعد ثلاثة أيام، حضرت إلى الڤيلا على الفور. كانت تظنُّ خطأ أنها ملك زوجي، ولم تكن تعرف

بالطبع عن "الجرمأ" الذي يعيش معنا تحت سقفٍ واحد. ارتبك إسماعيل حين نظر من الشباك ورآها أمام الباب، تقف بسيارتها تنتظر أن يُفتح باب الجراج. لم أُصدِّق للحظات أن الذي يؤلم خدي الأيسر الآن، هو أثر اللطمة التي لقيتُها لتوِّي من إسماعيل، وأنا بعدُ ما زلت "نَفَسة"! كانت هذه اللطمة هي الصدعُ الأول في الجدار.

جَمع أفراد المجموعة الموجودين في الڤيلا بسرعة، وحبسهم في إحدى الغرف، وأمر سميرة أن تهاتف الباقين وتأمرهم بعدم العودة إلى المنزل، إلا بعدما تتصل بهم مرة أخرى. وكأنه أصبح إنسانًا غير الذي لطمني منذ قليل؛ كان شديد الأدب مع أمي، يعاملها بلطف أقرب إلى التذلل، ولا يرفع صوته أعلى من صوتها، ولا يضع ساقًا فوق أخرى أمامها. صنع لها فنجان القهوة بنفسه، وحاول أن يقنعها أن تبيت معنا الليلة ويضغط ويلح في الطلب، حتى كادت المسكينة أن تستسلم، وأنا أنظر إليه غير فاهمة ولا مصدقة لما يفعل. وحين انصرفت أمر سميرة أن تأخذ "مريم" ابنتي، كي تقضي الليلة في غرفتها، وأن ترضعها لبنًا صناعيًّا كلما جاعت، كي أبيت أنا ليلتي محرومة من حضن ابنتي الوليدة، عقابًا لي على مجيء أمي دون استئذان. كانت هذه أولى علامات الجُبن التي رأيتُها في إسماعيل.

t.me/qurssan

باسم (7 يوليو)

مات أبي. كان من المفترض أن أودعه الوداع الأخير. مات الرجل السند في حياتي، ولم أُسبل أنا عينيه وأربط فَكَّيه إلى رأسه. كنتُ أعلم أنه في أيام التسليم، ورغم ذلك لم يوافق إسماعيل على سفري لقضاء هذه اللحظات إلى جواره.

كنتُ صغيرًا حينما ضرب أبي أحد جيراننا في البلد من أجلي. كنا نلعب أنا وابن ذلك الجار المتغطرس، وكان الولد يحمل مسدس خرز، حينما كان هذا المسدس هو أحدث ألعاب العصر. صوَّب نحوي، وأنا لم أصدق أنه سيضرب في اتجاهي، لكنه ضرب. أصابت الخرزة قرنية عيني، وصرختُ حتى التف حولي أهل الشارع كلهم، وكان معظمهم من أولاد عمومة أبي. حملوني جميعًا إلى المستوصف، وحين قال الطبيب أن عيني بها شرخ وأنه سيربطها لمدة أسبوعين بالقطن والشاش، تركني

أبي مع أقاربه وخرج مسرعًا من المستوصف. ذهب إلى بيت الرجل وأخرجه من بيته إلى وسط الشارع، وأوسعه ضربًا حتى خلّصه الناس من بين يديه. ثم أقسم أبي أن يكرر له "علقة" مماثلة عن كل يوم لا ترى عيني فيه النور. فمن يحميني من العالم بعدك يا أبي!؟

المجموعة هنا تحتاجني أكثر مما كان أبي. إسماعيل على حق: الجندي لا يترك مكانه لأي سبب، ولا بد أن يكون جاهزًا للحرب، وفي الحرب لا ينظر المحارب خلفه؛ لا إلى أبيه ولا إلى ابنه.

ورغم تمثلي التعليمات واستمراري في تدريب "فوزية"، فإنه ليس لي وجود مؤثر في القيلا على الإطلاق. أنا فقط أعدُّ نفسي من المقربين من إسماعيل، وهذه مكانة لن أفرط فيها أبدًا. الجميع ينظرون إلي باحتقار وإهمال. كنتُ أنا أصغرهم سنًّا، وهذا جعلهم يحتقروننني ويستصغرونني أكثر مما تخيلتُ، رغم تفانيَّ في خدمتهم لكسب رضاهم؛ أكشف على هذا وأكتب العلاج لهذه، وأتابع حالاتهم الصحية جميعًا، بخلاف ما أدفعه من راتبي من العمل الليلي، ولا شيء يجعلهم يشعرون بوجودي.

أكاد أتمزق بين هذه المجتعات الثلاث: أسرتي المُنفِّرة التي أشعر بالحرج من الانتماء إليها، ولا أكاد أذكر شيئًا عنها بين زملائي، ومجتمع المستشفى الذي أجد صعوبة بالغة في إثبات نفسي بداخله رغم شطارتي المهنية، كل شِلَّة منغلقة على نفسها ولا أستطيع الانضمام إلى أيِّهم. أصلُ تمامًا في موعد عملي، وأغادر المكان بعد أن أنتهي مباشرة. أتمنى لو يدعوني أحدهم

t.me/qurssan

للجلوس في كافيتريا نتحدث في أي موضوع، ولكن لم يحدث مرة أن جلستُ مع أحد ولا أصبحتُ صديقًا لأحد.

وفي مجتمعي الثالث: الڤيلا، لا يكاد أفراد المجموعة يتذكرونني أبدًا. إذا قام أحدهم ليحضر لنفسه طعامًا أو يصنع كوبًا من الشاي، سأل الباقين إذا أرادوا الانضمام، ويسقطونني جميعًا من حساباتهم، كأنني شفاف إلى هذه الدرجة.

أفاجأ أحيانًا حين عودتي إلى الڤيلا أن بعضهم خرجوا للتمشية أو للجلوس على أحد المقاهي، بعيدًا عن مراقبة إسماعيل المُحكمة، ولكنهم لم يتعرضوا لي ولو بـ "عزومة مراكبية" ما إذا كنتُ أرغب في مصاحبتهم. لا يجدي معهم التفاني والإخلاص الذي أعاملهم به. أغسل ملابس فلان وأنشرها وأكويها له، أحضر وجبة ساخنة لفلانة وأحملها إليها في غرفتها، أذهب إلى السوق أو "السوبرماركت" لشراء احتياجات البيت ومستلزماته، حتى الفوط الصحية التي تستخدمها فتيات المجموعة. كل هذا وأنا بين المذاكرة والعمل والمطبخ من صباحيتها إلى مساها.

الوحيد الذي أعارني اهتمامًا في بداية معرفتي به هو إسماعيل، ثم خَفُت هذا الاهتمام رغم جلسات التدليك والمساچ. كعوب أقدامه الخشنة لا تلين إلا بين أصابعي. وآلام ظهره وكتفيه لا تزول إلا بالحمام الساخن المليء بالزيوت المهدئة، حيث تستخرج أصابعي والماء الساخن تلك الآلام، فيخرج هو من الحمام هادئًا كما ولدته أمه.

t.me/qurssan

سميرة (19 يوليو)

أصبحتُ الآن بلا عمل. ألغى سيد توكيل إدارتي لشركة الديكورات التي أسسها لي، واشتريت بجزء كبير من مدخراتي هذه الڤيلا التي يسكنها إسماعيل والمجموعة، والتي أقوم بتنظيفها كل يوم حتى جفَّ جلدي، وعرفتني آلام الظهر والساقين.

أكاد أنسى النسخة القديمة منِّي، سميرة هانم العرباوي الوجه المعروف لدى معظم صالونات التجميل في القاهرة. أغيِّر تسريحة شعري كل أسبوع، وأجد دائمًا من يعتني بأظافري وقدمي. أدخن سيجارتي وأشرب فنجان القهوة، بينما يتحرك العاملون حولي كالنمل، يمررون أناملهم الرقيقة على شعري ويدي وأظافري. أتذكر هذا الآن، بينما تقبع أصابع قدمي تحت تدفق المياه الممزوجة بالكلور والديتول، وأجرُّها أنا بـ "مسَّاحة"

يدوية إلى داخل دورة المياه. لا أستشعر النظافة إلا عندما تحرقني أنفي بأثر روائح المنظفات، ولا يهنأ بالي إلا بعدما ألمِّع بنفسي اللوحات المعلَّقة وزجاج الشبابيك والبلكونات، وأغيِّر ملاءات الأسرة. أرتِّب غرفة إسماعيل الشخصية، حيث إنه ترك الغرفة لناديا وللصغيرة، كي يتخلص من نوبات البكاء في الليل.

لم تطلب مني ناديا أبدًا الدخول إلى غرفتها أو مشاركتها في شئون صغيرتها "مريم". كنتُ أختلس اللحظات لأحملها وأحتضنها، أبحث فيها عن رائحة ابنتي "نور" وبراءتها، أتذكر ملابسها الصغيرة حين كانت في هذه السن. لكن ناديا تستأثر بأمومتها لنفسها وحدها. أمٌ أنانية لم تفكر أن هناك بجوارها أمًّا فقدت ابنتها! أنتظر بشوق اليوم الذي يأتي إلي فيه سيد راغمًا وقد فاض كيله من العناية بـ نور، ثم يتوسَّلُ إلي كي آخذها منه. كان بإمكاني أن آخذها معي بعد الطلاق، حتى رغمًا عن سيد، لكنني رفضتُ الحضانة حتى لا يشعر أنني منكسرة أمام أمومتي. هو سيأتيني بها قريبًا ويرميها أمامي. سميرة العرباوي لا يقهرها أحد ولا شيء، ولا حتى الأمومة.

علاقتي بمحجوب أيضًا ليست على ما يُرام، منذ أن عاد من بيروت وأنا شبه أطارده لنحدد ميعاد زواجنا. أجده دائمًا ينظر إلي في صمت وتأمل، ألتفت فجأة لأجده ورائي، رغم أني لم أكد أسمع له صوتًا. يبحث عني في الڤيلا طوال الوقت، من المطبخ إلى الغرفة إلى الجراج، لكنه لا يتبعني ككلب وفي، يتبعني بترقب لا أعرف سببه.

t.me/qurssan

وإسماعيل أيضًا، علاقتي به ارتبكت بعدما كشف لي حقيقة محجوب. أكُلُّ هذا التغير معي يا محجوب، لأنني خسرتُ مصدر تكسبي الوحيد: سيد يوسف؟ ومَن كان السبب في أنني خسرته، أليس أنت؟ أليس حبي لك وتضحيتي ببيتي وزواجي وابنتي وأمي؟ أكنتَ تريد مني التضحية بكل ذاك، مع الاحتفاظ بعشرات آلاف الجنيهات تدخل جيبي كل شهر!؟ هل تبدو الحياة بهذا الظلم ياربي، أبيع حياتي وابنتي من أجل رجلٍ أحببته بصدق، فيخذلني الحب بهذه القسوة!؟ لا يمكنني الرهان على خسارة، لن أنتظر حتى يتركني محجوب إلى أخرى ما زالت خزينتها ملأى. ربما الآن هو التوقيت المناسب لتنفيذ خطة إسماعيل، والبحث عن مصدر جديد للتمويل، يربط قلب محجوب "بفردة" حذائي إلى الأبد، ويدبُّ قلبه أينما تدب قدماي.

عندما أحببتُ لأول مرة في حياتي، كان شابًّا وسيمًا ثريًّا، التقت عينانا في نفس اللحظة تقريبًا، ثم تظاهرتُ أنا بلا مبالاة لنظراته المُتسللة ناحيتي. لا أعرف كيف استدرجني لصداقته ثم للوقوع في حبه على هذا النحو، ثم الزواج منه دون تردد. فرقٌ كبير بين طريقة كل منهما في الحب: سيد ومحجوب؛ الأول تغلبه رومانسيته وكلامه الناعم، كان يقضي طوال النهار يستثير مشاعري، ليأتي عليَّ المساء بين أحضانه، رغم أنني زوجته ولا يحقُّ لي الرفض. بينما الثاني كان يفرض يديه وشفتيه على جسدي، رغم أنني لم أكن زوجته بعدُ، كان يخطفني حتى

مـن تفكـيري في الرفـض أو القبـول، كان يُنفِّـذ رغبتـه كأنـه الطـرف الوحيـد في المعادلـة.

والآن يـا محجـوب، سـأجعلك تحـنُّ إلى تلـك السـاعات التـي كنـت تقضيهـا في انتظـاري، سـأجعلك تنفِّـذ وعـودك بـأن تـشرب القـودكا في حـذائي، كـما فعـل عـادل أدهـم لميرفـت أمـين، سـأجعلك تتلهـف أن تلفنـي ذراعـاك ولا تجـدني. بيننـا الأيـام يـا محجـوب... بيننـا الأيـام.

t.me/qurssan

حبيبة (20 يوليو)

ارتجف قلبي منذ دخلتُ المكان. لفتني ذلك الكم الكبير من اللوحات التي تغطي معظم الحوائط، بحيث لا تترك مساحة فارغة لعيني كي تقع عليها. ولفتني أكثر كم الصور الفوتوغرافية التي تخص هذا الشخص وحده، وكأنني دخلتُ معرضًا خاصًّا بصوره فقط. انقبض قلبي حين رأيت صورته الكبيرة المظللة على طريقة السيلويت، والتي ضخَّمت ملامحه الكبيرة بالفعل إلى ثلاثة أضعاف تقريبًا، ظننتُ أنني وقعت في إحدى مجموعات عبدة الشياطين، ولا أدرى لذلك الشعور تفسيرًا، غير الغموض المُسيطر على المكان، استدرت إلى الباب وهممت بالخروج لكنها استوقفتني.

سيدة أنيقة ذات ابتسامة عريضة مشوبة بشيء ما، سلَّمت علي بترحاب شديد، وجلست معي حتى يأتي إسماعيل، لكنها

انتفضت من مكانها، كأن أظافر فأر تنغرس في ظهرها، غابت قليلًا ثم عادت بفوطة وبخاخة ديتول، مسحت بهما بعض رماد السجائر المتناثر فوق منضدة بيضاء صغيرة، ونظرت بغلظة نحو علي الذي دافع عن نفسه سريعًا "والله ما أنا". ثم مرَّت بالفوطة على كل اللوحات المُعلَّقة على الحائط، عاودني الإحساس بأنني داخل مستشفى مجانين، أو أن علي "يعمل فيَّ مقلب" يظنه ظريفًا. وبمجرد خروجها من الغرفة عزمتُ على ألا أعود إلى هذا المكان مرة أخرى. فشكلها أقرب إلى سيدة مجنونة تخفي ذلك الجنون تحت شعرها المنضبط وملابسها الغالية وعطرها النفاذ. بالتأكيد هي ليست سيدة سوية بحال. أدركتُ بحس الأنثى أن وجود علي هنا، ربما سيحول دون إكمال علاقتنا.

عند عودتها كان بصحبتها شخص طويل الهيئة عريضُها، ضخم الوجه، يلمُّ شعره إلى الخلف برباط أسود ويمسك في يده مسبحة، هو نفسه الشخص المتكرر في كل صور الحائط. جلستُ على كرسي صالون ظننته مريحًا وبعيدًا عن الكنبة، التي اعتقدتُ بحدسي أنه سيجلس عليها ليفسح لها مكانًا بجواره، وقد فعل. جَلَسَتْ بالقرب منه السيدة الأنيقة سميرة، كانت تتفحصني بوضوح، ثم أشارت إلي خلسة، بأن وَضَعَتْ يدها على شعرِها وغمزت، بما يعني أن أضبط الخصلة غير المهذبة من شعري، وعندما تجاهلتُها ظلت تكرر الحركة بشكل أكثر وضوحًا، حتى تلفت نظري إليها! رباه... أين أتى بي هذا المجنون "علي" وإلى من يقدمني!؟

t.me/qurssan

لم أتفهَّم بالضبط ما يقصد بخدمة مصر، وبكل التدريبات "السرية" التي سردها لتوِّه، هل هو متأكِّد إلى هذه الدرجة أني لن أبوح بها لأحد؟ إذًا هل أصبح لي ملف في أمن الدولة، وبناءً عليه تم اختباري واختياري لأنضم إلى هذا التنظيم؟

سألني إسماعيل عن أكثر الأشخاص قربًا إلي، وأكثر من أكنُّ لهم حبًّا، وعن راتبي وفيم أنفقه، وما إذا كنتُ أعمل في مكان آخر، والألوان التي أفضلها وكمية الطعام التي آكلها في كل وجبة بالتقريب، ثم قال لي في انتهاء اللقاء: "أمك يا حبيبة، إوعى تحكي لأمك. الأم من حقها تخاف على ولادها طبعًا، لكن بردو هي مش هتفهم ولا هتستوعب احنا مين ولا بنعمل ايه. ولا فكرة الولاد والبنات إللي عايشين مع بعض في مدرسة واحدة، وبيتدربوا على حاجة مهمة بالشكل ده. إوعى من أمك يا حبيبة".

خرجت من هذه الڤيلا المشبوهة ومعي علي. لم أدرِ كيف قدتُ سيارتي ولا كيف عدتُ إلى البيت. بالتأكيد تحدَّث علي وهو جالس إلى جواري في السيارة، لكنني لم أسمع حرفًا واحدًا بعد ما قيل في تلك الڤيلا المُريبة. هل هو فعلًا رجل دولة ولا بد لي من مساعدته، أم أنه جاسوس مزدوج كالذين نسمع عنهم مؤخرًا؟ هل سأضطر إلى الانتقال إلى بيته، مثل هؤلاء الذين حدَّثني عنهم؟ وإذا رفضت، هل سيتم تصفيتي لأنني أصبحتُ على علمٍ بمكانهم السري، وتفاصيل تدريباتهم، وأسماء أعضاء التنظيم؟ هذا إن كانت الأسماء التي حدَّثني عنها حقيقية بالفعل، وليست مجرد أسماء حركية.

أسئلة كثيرة عكفت عليها في بيتي أسبوعًا، لا أكاد أبرح غرفتي، ربما أستطيع أن أتدبر أمري وأتخذ قراري. أسبوعًا كاملاً ابتعدت فيه عن علي وعن أصدقائي وحتى عن أمي. تبدو الفكرة في عمومها راقية وسامية، لكنها مشوبة بشيء ما غير واضح وغير مريح، لم أستطع التماسه، لكنني شممت رائحته في العطر الفوّاح الذي سبق دخوله إلى لقائي، وفي الجلسة الممتلئة التي يجلسها، وفي المسبحة الغالية التي يلفها بين أصابعه، والتي عرفتُ فيما بعد أن اسمها "سبحة كهرمان" ويصل ثمنها إلى أربعة آلاف جنيه.

بعد أخذٍ وردٍّ بيني وبين نفسي، قررت ألا أعود إلى هذا الوكر ثانية، حتى وإن كان فيه علي، حتى وإن كان فيه جنة الله في الأرض.

t.me/qurssan

بربنط

كنتُ أنا ذو سبع سنوات وإسماعيل ابن اثني عشر عامًا، حينما كان المشهد كالتالي:

ذهب إسماعيل ليلعب مع ماهر ابن الضابط، وينعم بالضيافة الدسمة التي تقدمها أم ماهر لأصحاب ابنها، وبينما أنا وصلتُ لتوِّي لأنضم إلى اللعب، كما اتفقنا مسبقًا، رأيتُ إسماعيل يخرج من باب الدار، راكضًا ماسكًا حمامتين صغيرتين، ولم يلتفت إلي عندما ناديته. نزل ماهر من الدور العلوي وسأل عن إسماعيل، فأشرتُ إليه واصفًا ما حدث. طار إلى بيت إسماعيل ليسترد فرخي الحمام وكنتُ أنا أسير خلفه، حتى وجدنا إسماعيل في أرض خواء قريبة من بيته، يضع فرخي الحمام في برطمان زجاجي كبير، ووضع تحتهما بعض الأوراق

المزقة، ويبدو أنها مبللة بالجاز أو ما شابه، لأن النيران التي اشتعلت فيها لم تنطفئ.

نعم، كان إسماعيل ينظر إلى فرخي الحمام حَيَّيْن يتقافزان فوق الأوراق التي تشتعل تحتهما. ريشهما ينسلخُ من النيران، وجلدهما الأحمر الملتهب يظهر شيئًا فشيئًا.

جرى ماهر إلى البرطمان وفتحه موجِّهًا فوهته إلى أسفل، فسقط الحَمَامُ على الأرض يرتعش رعشاته الأخيرة، ثم سكنت الأجساد فجأة. رفع ماهر يده بالبرطمان وهوى بها على رأس إسماعيل، ثم قفز فوقه ودبَّ وجهه في الأرض حتى سالت الدماء من حاجبه. لم تسعفني قوتي البدنية لأن أحول بينهما، كان ماهر سمينًا وطويلًا وذا بنية عريضة قوية، فجريتُ إلى والد إسماعيل الذي كان جالسًا على الدكة الخشبية أمام البيت، يمسك السيجارة بيده اليمنى، وكوب الشاي الزجاجي الممتلئ حتى نصفه في اليد اليُسرى. همهمتُ له بما حدث ولم يفهمني، هو لم يكن يفهمني في أغلب الأحيان، ولم يكن الوقت يحتمل عدة محاولات. جررته من يده بسرعة، فتعثَّر في طرف جلبابه وانكفأ على وجهه، وعندما نهض نظر خلفي، وتسمَّر مكانه لحظة، ثم هرع إلى ما ينظر. كان إسماعيل آتيًا يترنَّح من أثر "العلقة".

كان موعدنا في درس الكُتاب عصر كل يوم، وفي ذلك اليوم لم يأتِ إسماعيل وحده. ظننتُ أنا وماهر أن والده جاء يشتكي لشيخ الكُتَّاب، وكان ماهر يرتعد خوفًا، وانكمش داخل جلبابه المكوي المهندم، ثم عادت له ثقته واستقام ظهره وفرد صدره

t.me/qurssan

داخل الجلباب، حتى كاد يتمزق، عندما لطم والد إسماعيل ابنه أمام الجميع؛ أمام الشيخ والتلاميذ وماهر وأنا. بكى إسماعيل كالأطفال، ووقف الشيخ غير مستوعب لما يحدث، فاستدرك والد إسماعيل موضِّحًا:

- ابني غلط يا سيدنا ولازم أربيه قدام زمايله. قول ياض انت عملت إيه وصاحبك عمل فيك إيه؟

- طب سيبه انت يا شيخ عبد القادر وأنا هتصرف معاه.

- مش هسيبه ولا همشي غير لما يقول قدام زمايله هو عمل ايه بغباوته وقساوة قلبه. انطق ياض.

وصاحبت الكلمة الأخيرة صفعة شديدة على قفاه، جعلت ضحكات التلاميذ تتعالى، حتى نظر إليهم شيخ الكُتَّاب نظرة غضب أخرستهم. حكى إسماعيل كل سرقاته السابقة، وما كان يفعل بالطيور التي يسرقها والحشرات التي يصطادها ويحرقها في الأكياس البلاستيك والبرطمانات، ثم حكى ما حدث بينه وبين ماهر وسط ذهول الشيخ والتلاميذ، واشمئزاز ملامحهم المنكمشة وعيونهم شبه المُغمضة. ثم أمسك والد إسماعيل بـ "خرزانة" الشيخ وانهال على قدم ابنه، ولولا تدخل شيخ الكتاب، ولولا الدماء التي سالت من قدم إسماعيل، ما تركه أبوه أبدًا.

لم يتسامح أطفال القرية مع إسماعيل سريعًا. عدة أشهر مرت وهم يرفضون أن يفتحوا له أبواب بيوتهم إذا ذهب لزيارة أحدهم، لا يرد أحدٌ عليه السلام إذا تصادفا في شارع

أو لـدى بقَّـال، يتفاوضـون عـلى الجلـوس إلى جـواره في الكُتَّـاب وفي المدرسـة. أنـا الوحيـد الـذي أشـفقتُ عليـه مـن أفاعيلهـم، فـماذا سـينتج الصعيـد ونـار الشـمس وجـبروت الصحـراء، غـير هـذه القلـوب القاسـية!؟ هـم ليسـوا أفضـل منـه كثـيرًا بحـالٍ مـن الأحـوال. إسـماعيل أعلـن عـن قسـوته ومارسـها عـلى تلـك الكائنـات الضعيفـة، لكـن أهـل الصعيـد يمارسـون قسـوتهم عـلى بعضهـم البعـض، وحـين يحرقـون، يحرقـون قلـوب آدميـين مثلهـم. كان إسـماعيل واضحًـا، حتـى حينـما يذهـب إلى أحدهـم ليـأكل في بيتـه، أو لينـام بعيـدًا عـن سـقف بيتـه المفتـوح عـلى مصراعيـه للمطـر، كان واضحًـا.

ولقـد أدركـتُ بحـدسي في ذلـك اليـوم أنـه تعلَّـم الـدرس جيـدًا. ليـس لأنـه لـن يحـرق أو يقتـل بعـد اليـوم، ولكنـه تعلَّـم ألا يُظهـر قسـوته أمـام أحـد، وأن مـا كان يمتلـك القـوة ليفعلـه نهـارًا في أرض فضـاء قريبـة مـن بيتـه، سـيفعله بقـوة أكـبر وإصرار أشـد، دون أن يكـون واضحًـا إلى هـذا الحـد.

t.me/qurssan

سامية (1 أغسطس)

جاءني محجوب مذعورًا جدًّا، يرتجف وعلى وشك البكاء، رغم أنه لم يأتِ إلى منزلي منذ شهور، منذ طلقني وترك المنزل. كان الولدان في غرفتهما يذاكران وأنا أجلس أمام التلفزيون، حين سمعت الطرق الشديد على الباب مصحوبًا بـ "افتحي يا سامية بسرعة، افتحي". بالطبع لم أخطئ صوته، لم أكد أفتح الباب حتى دخل مندفعًا، واصطدم بي فوقعتُ على الأرض. لم يلتفت إلى سقوطي وأغلق الباب خلفه بسرعة، وجرى إلى داخل الغرف يطفئ الأنوار.

جلس صامتًا حتى هدأ صدره اللاهث، وجفَّت حبات العرق على جبينه، ثم أشار إلي بالعلامة التي يعبِّر بها عن كوب الماء، تحرَّكتُ في اتجاه المطبخ ثم توقفتُ فجأة. أما زلتَ حتى الآن يا محجوب تستخدم معي تلك الشفرة، التي

تعوَّدناها لعشر سنوات، عرفنا فيها بعضنا البعض!؟ أما زلتُ أنا أفهمُك دون أن تضطر إلى كلام؟ دبَّ في صدري حنينٌ لتلك الأيام الجميلة، التي كانت جميلة، حينما كنتُ أنام بين ذراعيه هادئة مستكينة، وحين كان صدري نهاية متاعبه، ما إن يضع رأسه هنا حتى تطير الخفافيش بعيدًا عنه. أظنه جال بقلبه ما يجول بقلبي الآن، قام من مقعده وتقدَّم ناحيتي ووضع رأسه على كتفي، ثم استدارت ذراعاه حولي شيئًا فشيئًا وأنا متصلِّبة كالتي ماتت وهي واقفة. لا أنا رفضته ولا أنا احتضنته. وحين بدأت أصابعه بالتحرك فوق ظهري، دفعته عنِّي وهوت يدي على خدِّه، لطمتُه. لم يكن الحضن هو السبب، ولم تكن محاولة الاستدراج الدنيئة، إنما كانت لطمة للطمع يا محجوب، لطمة لرغبتك الشهوانية في جمع كل شيء يحق لك أو لا يحق.

وفي لحظة لمتُ نفسي أنا الأخرى، فأنا التي شعرتُ بالحنين طالًا من عينيَّ، خجلتُ منه ومن نفسي، لكن القلوب والأجساد التي تحنُّ لا تعرف الطلاق، لا تعترف به. ناديتُ ابننا الأصغر: "ياسين، سيب اللي في إيدك وتعالى هات لبابا يشرب".

شرِب محجوب الماء كشرب الهيم، ثم أمسك بيدي وأجلسني جواره، وطلب من ياسين أن يعود إلى حجرته حيث يلعب مع أخيه. لم أكن أتخيل قط أن محجوب قد يحمل يومًا هذا السر بين جنبيه، لم أكن أتخيل أن هذا الرجل الذي نِمْتُ جواره سنوات، يمكن أن يتحوَّل إلى مجرم هكذا في لحظة! وما أدراني أنها لحظة، ربما استغرق الأمر أيامًا وشهورًا، ربما تحوَّل إلى هذا الشيء الغريب منذ طلاقنا وربما قبل ذاك؟ المهم أنه حدث،

t.me/qurssan

وأصبح هـذا الرجـل الـذي يجلـس الآن في بيتـي معـي ومـع أبنـائي، غريبًـا عنـي وعنهـم. ولكننـي لم أشـعر بارتيـاح لصـدق الحكايـة مـن بابهـا. كل مـا لـه علاقـة بإسـماعيل لم يعـد يجـد لقلبـي ولا لعقـلي سـبيلًا.

t.me/qurssan

علي (1 أغسطس)

تدريبات هذا الأسبوع مرهقة إلى حد بعيد. التدريب الأول ينصُّ على ألا تزيد الجملة التي يقولُها أحدنا عن سبع كلمات. فقط 7 كلمات لكل من نتكلم معهم أيًّا كان الموضوع، أيًّا كان التوقيت. لا جملة تزيد عن 7 كلمات حتى في أعمالنا حين نتحدث مع الغرباء. تدريب وقح وغير مهذب، أن تكون مقتضبًا مع الغرباء إلى هذا الحد.

"لو سمحت ممكن تختملي الورقة دي وتوديها الحسابات؟". "مدام نورهان المدير بيقولك تخلصي اجتماع قسم المبيعات وتكتبيله تقرير مفصل عنه".

كيف يا ربي أقلص كلماتي إلى أقل من هذا الحد؟ كيف سأقف أمام من يحدثني أعدُّ كلماتي قبل التفوه بها!؟ سأكاد أجنُّ من قلة الحديث حينئذ. ألا يكفي ما حدث لباسم بعد

تدريب فوزية؟ بعد ثلاثة أشهر من كونه "فوزية" أصبح باسم يتمايل في مشيته كالنساء، ويمضغ العلكة بطريقة أنثوية لافتة إلى كل شباب المجموعة. أصبح يتفنن في تركيب ألوان ملابسه وما يليق وما لا يليق، يستخدم "المانيكير" ثم يمسحه خلسة، لكنني أرى أثر الألوان على أظافره. يبالغ كثيرًا في كي ملابسه الرجالي التي يخرج بها من البيت. أراقبه جيدًا عندما يجلس جواري إلى "السفرة"، أراقب نظراته المتأملة لنا ونحن نتناول الطعام الذي شارك في إعداده مع سميرة، واهتمامه بأن نبدي آراءنا وتعليقاتنا وأن نقول له "تسلم إيدك". لا أشعر أنه ما زال يشعر بنفس الغضب والاستياء تجاه كلمة "فوزية".

والآن يريد منا إسماعيل أن نخفض كلامنا مع الآخرين إلى جمل مكونة من 7 كلمات. هل هذه خطة ممنهجة منه لأن يحولنا جميعًا إلى مجانين في أقرب وقت؟

لم ينجح أحد في اختبار الـ 7 كلمات. وكان عقابًا جماعيًا شديدًا؛ تركنا إسماعيل معًا في الڤيلا وذهب إلى شقته القديمة واعتكف بها عشرة أيام، هاتفه مغلق ولا يتصل بأيٍّ منا، وبالطبع لا يجرؤ أحدنا على الذهاب إليه، فليس من المسموح لنا اقتحام خلوته إلا بإذن منه. وإن لم يأذن فليس سوى الانتظار.

والتدريب الثاني كان يقضي بألا يعود أحدنا إلى الڤيلا من نفس الطريق مرتين متتاليتين. كل مرة نخرج من طريق ونعود من طريق آخر، ولا نكرر الطريقين في اليوم التالي مهما حدث. كان ذلك شاقًّا علينا جميعًا، ولكننا كنا نحاول ونتصبَّر، ونتحايل

t.me/qurssan

على الطرق المزدحمة بالأحاديث الهاتفية مع بعضنا البعض، حتى جاء يوم جَمَعَنا على وجه السرعة.

ترك كلٌّ منَّا عمله وتوافدنا إلى الڤيلا كسرب من النحل. كان إسماعيل في أقصى حالات الفرح التي رأيته فيها. كان يسير في الصالة ذهابًا وإيابًا، ونحن نجلس أمامه تتعلق عيوننا بحركته وانفعالاته، ننظر إلى بعضنا البعض في استغراب واندهاش حتى دبَّ الملل. كان ينتظر سميرة، هي الوحيدة التي تأخرت، ولكنه ما إن رآها حتى اندفع تجاهها وضمَّها إلى صدره، ثم رفعها من فوق الأرض ودار بها في احتضان قوي، وقال بعد أن هدأت ملامحه:

"باركوا لاختكو سميرة وأخوكو محجوب، خلاص فرحهم هيبقى يوم الأربع الجاي. طبعًا الفرح صغير على قدنا ومش هيكون فيه حد غيرنا. هنعمله في يخت يمشي بينا في الميه ساعتين ونرجع بيتنا نحتفل براحتنا. مش مسموح بأي لبس لافت للنظر. حتى سميرة ومحجوب هيلبسوا عادي، يلبسوا شيك بس عادي كأنهم هيحضروا مؤتمر ولا حفلة كبيرة. إنما ترتر وفرفر غير مسموح نهائي. ده الخبر الأول. الخبر التاني العظيم إننا بقى عندنا شركة مقاولات، سميرة قررت تطور خبرتها في الديكور وتعمل شركة مقاولات. المحامي دلوقتي بيخلص الورق والإجراءات وبعدين نبتدي في الشغل. وكلكو هتشتغلوا فيها، إللي مش مرتاح في شغله هيسيبه ويساعد سميرة في شغلها، واللي مرتاح في شغله بالنهار هيشتغل في الشركة بالليل. الكل لازم يشتغل".

اللافت في الأمر أننا لم نفرح ولم نُبارك لسميرة إلا بطرف ألسنتنا، لم نتفق على ذلك ولكننا اجتمعنا عليه. ويا للغرابة، كانت سميرة نفسها تخلو من علامات الفرحة، ملامحها جافة خالية حتى من الابتسام، تتلاشى عيوننا ونحن أيضًا تلاشيناها، حتى محجوب! لم يبدُ أنه سعيد بتحديد يوم الزواج، رغم لهفته عليها ورغم ما فعلته سميرة من أجله.

كان ذلك بعد زيارة حبيبة إلى الڤيلا بخمسة أيام على الأرجح. خمسة أيام لم تأتِ حبيبة إلى العمل ولا ترد على مكالماتي. لا أستطيع أن أزور بيتها مرة أخرى. كانت أوامر إسماعيل أن أتركها تمامًا وألا أعترض طريقها، إلا إذا عاودت هي الاتصال بي.

منذ خرجنا من الڤيلا معًا، وأنا لا أعرف عنها شيئًا، قادت سيارتها دون أن تطرف عينها ناحيتي، من التجمع الخامس حيث الڤيلا حتى وصلت إلى بيتها في العجوزة، ولم تنبس ببنت شفة. توقَّفَتْ أمام منزلها وترجلتْ من السيارة، وبالتبعية نزلتُ أنا أيضًا. وجَّهَتْ مفتاح التحكم عن بعد نحو السيارة، وما إن أصدرتْ الأبواب صوت الإغلاق، حتى صعدت حبيبة درجات السلم إلى شقتها دون أن تنظر خلفها، كأن لم يكن هناك آخر يصحبها.

كان محجوب متوترًا هذا الأسبوع، وعلاقته بإسماعيل تسوء دون أسباب. حتى يوم زفافه على سميرة مرَّ دون أي شيء استثنائي يُذكر. استيقظنا في مواعيدنا العادية دون أي تعمد لترتيبات مبكرة. توجهنا جميعًا إلى فندق "الكونراد" المُطل

t.me/qurssan

على نيل وسط القاهرة، ووزعنا أنفسنا على الغُرف المحجوزة لنا مُسبقًا، بدلنا ملابسنا وتقابلنا في قاعة الغداء كما أمرنا إسماعيل. وحتى هذه المناسبة التي من المفترض أن تكون سعيدة، لم تخلُ من تدريب واختبار. كان إسماعيل قد كلَّف محجوب ألا تكون غرفنا في نفس الطابق، بل تتوزع على عدة طوابق، ولم نفهم في البداية ما الحكمة من أن يفصلنا عن بعضنا البعض بهذا الشكل. لكنه وبعد أن تناولنا الغداء أمرنا أن يقوم كلٌّ منا بمراقبة النزلاء في الغرفة المجاورة له، وأن يأتيه بمعلومة صحيحة دقيقة عنه أو عنها، ولا يخبر بها أحدًا من المجموعة، فقط يخبرها لإسماعيل. وبالطبع من الممنوع نهائيًّا أن يكتب أحدنا المعلومات التي عرفها عن النزلاء هنا أو هناك. المعلومات تُسجل في الذاكرة فقط لا غير.

t.me/qurssan

ناديا (2 أغسطس)

تستوقفني كثيرًا آية الإنجيل التي تقول "من يمسكم يمسُّ حدقة عينه". أإلى هذه الدرجة يرعانا الرب!؟ أإلى هذه الدرجة نحن منه وألمنا يؤلمه!؟ أجد راحة كبيرة في قراءة الإنجيل وزيارة الكنائس والأديرة. كنتُ أبحث قبل لقائي بإسماعيل عن دير يستضيفني لعدة أيام على سبيل "الاعتكاف"، ولكن قالت لي صديقتي المسيحية إنني لن أجد ديرًا في مصر يسمح بمكوث المسلمين عدة أيام داخله، على سبيل الاعتكاف أو الرهبنة كما كنتُ أسميها. كنتُ أبغي الابتعاد عن البشر وغابتهم ومعاركهم الصغيرة وتفاصيلهم المادية، كنت أبحث عنه، عن الله. الله الذي يعرفه الرهبان فلا يريدون بعد الرهبنة أن يعودوا إلى ما خارج الأسوار، الله الذي تعرفه الملائكة فتشفق كل الشفقة على من في الأرض، يفسدون فيها ويسفكون الدماء.

الله الذي يعدُّنا عياله ولا يسمح بأن "يخربش" الغرباء غشاء قلوبنا، فنبكي كالأطفال وننظر إليه لنرى الحماية في عينيه، ولكن هؤلاء الغرباء أيضًا عياله، فهل يعدل الله بين العيال أم يحب فريقًا دون فريق؟ كان الله في عونك يا الله!

كان يوم زفاف سميرة ومحجوب يومًا من أسوأ أيامي مع إسماعيل. كان شاردًا معظم الوقت، لا يسمح لأحدنا بالاقتراب منه، وكان كلٌّ منا ملهيٌّ في التدريب الذي أمرنا به قبل الزفاف. كان على كل منَّا أن يراقب الغرفة التي تجاور غرفته في الفندق، ويذهب إلى إسماعيل بمعلومة صحيحة دقيقة عن نزلائها. كانت الغرفة المجاورة لي صامتة لا يصدر عنها أي صوت يؤدي إلى استنتاج. ولكن السيدة التي ظهرت في "التراس" المجاور لي كانت عجوزًا، قد تخطت السبعين، يتجلى ذلك في شعرها القصير الفضي الخفيف جدًّا من البدايات، ويكاد يصل إلى 50 شعرة بالعدد في نهايته. تكاد تكون جلستها المعوجة المنحنية الظهر ارتسمت في عيني، تزينها الملابس السوداء الرقيقة التي ارتدتها، والتي بدت غالية وثمينة.

كنتُ أظن أنني "جبت الديب من ديله" حيث رأيت النزيلة شخصيًّا، وتفحصتها بتمعن جعلني أنقل المعلومة المطلوبة مني بدقة. ولأنه دائمًا غير متوقع؛ لا يأتي بما هو منتَظر منه أبدًا، فلقد ثار إسماعيل ما إن علم أنني رأيتُ السيدة، وبادلتُها الابتسامة وتحية الرأس الرقيقة. قطع المسافة التي كانت تفصل بيننا في الغرفة بسرعة، وأمسك بذراعي بقوة أخافتني، وبيده الأخرى أمسك نهايات شعري وجذبني نحوه:

t.me/qurssan

"بتقولي شفتيها وشافتك وسلّمتي عليها؟ إنتي جنيتي يا ناديا؟ دي مهمة يا غبية مهمة.. يعني لا حد يلمحك وانتي بتعمليها ولا حد يعرف شكلك. إنتي حمارة ومبتفهميش. غوري من قدامي".

ترك يدي وشعري بدفعة واحدة، ألقتني أمام التسريحة واصطدم رأسي من الخلف بكرسيها الخشبي. هنا بكت "مريم" من هول صراخه. هنا رأتني ابنتي الرضيعة أُضرب أمام عينيها، ولا أعرف إن كان ثمة شيء يجعلها تنسى هذا المشهد، أم أن الكاميرا قد التقطته وانتهى الأمر. هنا أصبحت أكره إسماعيل، وأكره المجموعة أ، وأكره كوني جزءًا من هذه الحياة المميتة التي لن أستطيع لها صبرًا.

لو يعلم أبي الذي لم يكن صوته يرتفع في البيت أبدًا، أن زوجي يضربني، لو يعلم أن رأسي الذي كان يُقبِّله كل ليلة قبل أن ينام، ويضع يدَه فوقه ويتمتم بآيات القرآن، لو علم أن هذا الرأس يُدفع الآن بقوة ليصطدم بالحوائط والكراسي! أحتاجك الآن يا أبي، ولو يسعني أن أترك كل هذا الهراء وأستقل أول تاكسي لألقي بنفسي وابنتي بين ذراعيك! أنا خائفة يا أبي، خوف الجهل بما ينتظرني خلف الباب، وما قد أفعله دون قصد، فيتسبب في أن أفقد ابنتي أو أن تفقدني ابنتي.

لا أعرف ما الذي دفعني أن أكتب ذلك في مذكراتي، رغم أن إسماعيل شدد كثيرًا على عدم كتابة أي شيء عن التدريبات في أي مكان. ربما أردُّ له الصفعة بطريقتي، وربما أترك ورائي ما يجعل ابنتي تعرف كل شيء عني، إذا ما اشتد غضبه ذات مرة

وقتلنـي. فلتعلمـي إذًا يـا صغـيرتي أني أحبـك، وأحيـا هنـا لأجلـك، وسـأفعل لأجلـك أي شيء.

t.me/qurssan

باسم (15 أغسطس)

لم أشعر بالذل والمهانة في حياتي كما شعرتُ بهما اليوم. لا أصدق أنني مشيتُ في الشوارع الفارغة من المارة، كي أستطيع البكاء بعيدًا عن العيون المتطفلة.

عاقبني إسماعيل عقابًا لم أتعرض له من قبل، ولم أتصور أن يكون هذا هو جزائي على خدمتي له، بعد ما كان بيننا من عيش وملح. هذه هي المرة الأولى التي أفكِّر جديًّا أن ألملم ملابسي وأترك له الجَمَل بما حمل، وأعود إلى حيث جئت، فأنا لم أعد أحتمل قسوته وعجرفته أكثر من ذلك.

بدأت الحكاية حين زلَّ لساني ذات مرة، وقلتُ له إنني كنتُ طفلًا يحب الجبن الرومي، وكان ضيق ذات اليد يجعلها تدخل بيتنا في الأعياد فقط على سبيل الترفيه. كنتُ أحكي له

ذلك ببراءة نفس، وعن فخر و طيب خاطر. كنتُ أظن أن الفقر ليس عيبًا.

واليوم كنت أحضر لنفسي "سندويتشات" الإفطار لآخذها معي إلى المستشفى والشركة، يومي سيكون طويلًا، غير أنني انتهيتُ لتوي من نشر الغسيل وكي ملابس محجوب وسميرة. هل ثمة مشكلة أن آكل كل إفطاري اليوم من الجبن الرومي؟ هل من مشكلة أن آكل اليوم كذا ولا آكل كذا؟ انفجر إسماعيل غاضبًا حين رأى طعامي في المطبخ، وعلا صوته حتى أيقظ المجموعة كلها في السادسة والنصف صباحًا. وجدتُ الجميع يقفون أمامي بملابس النوم، يفركون أعينهم ولا نكاد نستوعب جميعًا ما يحدث.

- الجعانة اللي جاية من تحت الجاموسة، الست فوزية، شوفوا عاملة أكل قد إيه لنفسها الواطية الحيوانة.

- يا أستاذ إسماعيل...

- اخرسي يا كدابة. أنا مراقبك بقالي فترة، أكلك كله جشع ونَهَم، ودي أسوأ صفة في البني آدم، إنتي متعرفيش إنه ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه يا طفسة؟ يعني أنا لو بنفذ بيكي مُهمَّة وحد عزمك على سندويتش، تنسي اللي بتعمليه!

- حضرتك ده أنا وزني 50 كيلو، يعني وزن مثالي، دانا مبلاقيش وقت آكل من الشغل والمذاكرة.

أنا قلتلك اخرسي.

t.me/qurssan

كانت هذه هي المرة الأولى التي يتطابق فيها كف إسماعيل الأيمن مع خدِّي الأيسر، أمام المجموعة كلها، شبابها وبناتها.

- محجوب، إنت يا زفت يا محجوب.

- نعم.

- هاتلي من تلاجة المخرن كيلو جبنة رومي بسرعة.

- حاضر!

- اتفضلي سعادتك يا سنيورة فوزية، اطفحي الكيلو ده كله حالًا يمكن عينك تتملي.

- بس أنا مقدرش آكل كل ده دلوقتي ولوحدي كمان!

- كُلي بقولك. اترزعي على الكرسي ده. وانتي يا سميرة أكلي الهانم ف بقها وطفحيها الأكل ده. لحد ما ترجِّع وتجيب كل اللي في بطنها.

كان جسدي يرتعش ويدا سميرة تمتد إلى فمي بثبات ببضع قطع من الجبن، تضعها بقوة داخل فمي، دموعي تنزل على خدي ساخنة، وقطع الجبن تجرح جوفي كالمواسي وهي مصحوبة بكل هذه النظرات، شعرتُ برغبة قوية في التبول حاولتُ منعها، لكنني فشلت وتبللت ملابسي وتبللت الأرض من تحتي.

انسحبت ناديا إلى الخلف لتتسلل ثم تختفي من المشهد، ربما احترامًا لمشاعري... زجرها إسماعيل وأمسك معصمها بقوة: "أنا ماقلتش لحد يمشي!"

بعد أن انتهيتُ من التهام الكمية كلها، وضع إسماعيل يده على كتفي، ثم أصدر أوامره إلى سميرة بأن تراقب أكلي جيدًا، وإذا شكَّت في أي وقت بأن هناك بادرة جَشَع تظهر على سلوكي، تقوم بإبلاغه فورًا. ومن الآن فصاعدًا أنا ممنوعة، أقصد ممنوعٌ، من تناول الجبن الرومي مدة عام. هل سأكمل معك عامًا كاملًا على هذا الوضع يا إسماعيل!؟ "هذا أبعد من حلمة أذنك".

ما زلتُ أشعر بيدي ترتعش، الشارع خالٍ إلا من الكلاب التي تشاركني حراسة الشركة، والعصافير التي تركت الأشجار لتوِّها، وعادت إلى السماء برتقالية اللون في هذا الوقت من الفجر.

مستيقظًا منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة، ولم أتناول طعامًا بخلاف ما "زغطني" به إسماعيل. تقيأتُ أكثر من مرة خلال اليوم كلما استرجعتُ طعم الجبن في جوفي. وطعم دموعي ما زال عالقًا بطرف لساني.

أشمُّ الآن رائحة أمي. لا بد أنها استيقظت وصَلَّتْ الفجر، ولا بد أنها تضع الآن أرغفة الخبز في الفرن. كانت توقظني وتغصبني على إفطارها الشهي، ولا يهدأ لها بال إلا وأنا شبعان وممتلئ. كانت تكاد تُقبِّل يدي لآخذ معي بعض السندويتشات إلى المدرسة، وكنت أُحرج من زملائي في الثانوية ومن كيس السندويتشات وأنهرُها بشدة. أين أنتِ الآن يا أمي؟ كم أحتاج إلى حضنك! لو كان الأمر بيدي لهرولتُ إليكِ الآن وتركت القيلا "تتطربق" على إسماعيل ومجموعته، ولكن من سيتكفَّل باحتياجات البنات يا أمي؟ لا أستطيع أن أحبس دموعي يا أمي.

t.me/qurssan

محجوب (20 أغسطس)

العمل هو الشيء الوحيد الذي يلهيني عن بيت العنكبوت؛ بيت إسماعيل. ڤيلا ضخمة، حوائطها كلها بيضاء من الداخل والخارج، تبدو متشعبة ومُخيفة، لكنها تتخذ هذه الشاكلة كي لا تدل على شيء، كطبيعة محجوب الدائمة، ولكي تبدو صرحًا ضخمًا يروي غرور إسماعيل، بعد حياة الأقصر الموغلة في الفقر.

العمل يُلهيني أيضًا عن التفكير في الكارثة التي ارتكبتُها، وأترقب أن تنكشف بين ليلٍ ونهار. هي السبب، هي التي دفعتني لأن أطبق يديَّ حول رقبتها. رأيتها كـ "سميرة"، رأيتها في هيئتها تُحدِّثني بطريقتها وتمشط شعري بأصابعها، بنفس الطريقة. لم أتبين ذلك عندما قابلتُها أول مرة تجلس أمام عمارة الاستوديو. أدركتُ من نظراتها أنها تريدني، وأنها لن تمانع إذا حاولتُ معها. صَعَدَت معي مرة واثنتين وثلاث...

وكل مرة كانت تتشكَّل فيها سميرة جديدة، كأن عفريتة سميرة تتلبسها. ألوانها المفضلة التي ترتديها لإغرائي، ألفاظ التدليل... كل شيء أرى فيه سميرة، وأنا لا أستطيع أن أحيا مع واحدة، فما بالي باثنتين!

لم يكن التخلص منها سهلًا كالأخريات... أنا حتى لا أذكر اسمها الذي قالته لي في أول لقاء، فأنا لم أناديها مُطلقًا بعد ذلك، هي التي كانت تناديني. ولا أتذكر الآن تفاصيل ما حدث في الليلة الأخيرة، غير أنها كانت سميرة نفسها، بشحمها ولحمها، كانت العفريتة قد أتقنت سحرها في هذه الليلة "بالذات" وحوَّلت الفتاة إلى نسخة طبق الأصل، كانت تقترب مني لتحتضنني وأنا أبتعد، تقتربُ وأنا أنسحب إلى الخلف كالطفل، كانت تظنها مداعبة مني فتُقبل بانكباب أكبر كأنها ستلتهمني. وحين استجبتُ للتلامس، كانت أصابعي تلتف حول رقبتها، ولم أتركها إلا وهي هامدة لا تتحرك.

جلستُ جوارها حتى جنَّ الليل، حملتُها في "شنطة" السيارة كما يحدث في الأفلام التي أصوِّرها، وألقيتُها على مشارف طريق الإسكندرية. هكذا كما يحدث في بساطة السينما وتلقائيتها. عدتُ مُسرعًا كأن الريح تحملني، ولكنني لم أقوَ على الذهاب إلى القيلا ورؤية القتيلة، شبيهتها، سميرة. لا يمكن أن أنام جوار سميرة اليوم، لا يمكن أن أقتلها ثم أرجع لأنام في حضنها. قادتني راحتي واطمئناني إلى بيت سامية، إلى حضن أولادي أحتمي بينهم من مجهولٍ لا أعرفه. بل أعرفه، وصنعته بيدي.

t.me/qurssan

شهورٌ مرت منذ تزوجتُ سميرة، شهور وأنا لا أقربُها ولا ألمسها. كان لعابي يسيل على صدري حين أشتم عطرها، عندما كانت متزوجة من غيري. ولكن بعدما عرفتُ من إسماعيل أنها تحبُّ آخر لم يعد لي بها هوى. أصبحت أرى في فتيات الشوارع اللاتي أصحبهن إلى الاستوديو، رمقًا عنها ودفئًا لا أجده في سريرها، حتى بعد تلك الحادثة، اعتزلت النساء عدة أيام ثم عدتُ إليهن كأن شيئًا لم يكن. والغريب أنها لم تكن تستنكر ذلك، لم تراودني مرة كما كانت تفعل وهي متزوجة، لم ترتدِ ليلة ما ترتديه النساء لأزواجهن. كانت تقول لي عندما أُقبِّلها في مكتبها، إنها تجد فرقًا كبيرًا بين قوتي وإصراري في معانقتها، وبين مسكنة زوجها. مما يجعلها "تقرف" وتشمئز من ملمس جسده. هل تشمئزين مني الآن يا سميرة وتشعرين بالقرف!؟ هل لذلك تحتاجين إلى حوالي ساعة كاملة في الاستحمام كل يوم؟ وهل تتهربين مني بأن تنظفين كل شبر مربع في الغرفة كل يوم، وتكوين ملابسك كاملة حتى الداخلية منها، والجوارب، والملاءات وأكياس المخدات؟ أعرف أنني أبدو مازحًا مستهزئًا، لكنني سئمت الجدية التي تلف هذا الكهف الخرب يا سميرة، وسئمتك أنت أيضًا.

الجميع ناقمون على إسماعيل. أصبحنا مأمورين بالتجسس على زملائنا في العمل، كلٌّ حسب عمله. لا تخلو الاجتماعات من الأحاديث الخاصة بزملاء عملنا. حتى سميرة التي كانت منهمكة في إجراءات القرض ثم إنشاء شركة المقاولات؛ كانت يوميًّا تعود مُحمَّلة بأحاديث ثرية عن المقاول فلان والمهندسة

فلانة والفلوس والنفقات. ولكنه على غير المتوقع لم يكن يطلب معلومات عن شخص واحد بعينه، إنما معلومات دقيقة عن أي شخص أيًّا كان، حتى لو كان مجرد زائر للمكان أتى لمرة واحدة، ولن يكرر الزيارة ثانية أبدًا. الهدف من التدريب كما كان يقول، هو التركيز وقتما نريد مع من نريد، وأن نستخلص المعلومة التي نريد.

أنا أيضًا ناقم على هذه الحياة الميتة البغيضة، رغم أنني أكثرهم تحايلًا على الوضع. أدَّخرُ أموالًا غير التي أسلمها إلى سميرة كي تضعها في خزانته. أخبره بمقابل مادي أقل بكثير مما أتقاضيه حقًّا، وإلا سأضطر إلى أن أخرج من بيتي وفي جيبي أقل من خمسين جنيهًا كما ينص التدريب، وكما يفعل بقية الزملاء. أيُّ تدريب يجعل المرء فيه يسير وفي جيبه ثلاثون أو أربعون جنيهًا هذه الأيام؛ يركب بها المواصلات ويأكل أيضًا إذا احتاج إلى ذلك!؟

هي حياة مملة في العموم، رغم أني لا أكاد أتعامل مع أفراد المجموعة إلا في حدود. مجموعة من الحمقى والأغبياء أضطر إلى مجالستهم في أوقات التدريبات والاجتماعات. ناديا الغندورة "المتأنتكة" على الدوام، بربنط "الأهطل" الذي يسير خلف إسماعيل كظله ويهمهم طوال النهار كالحمار، والست باسم الذي يتبقى له أن تزول خشونة صوته ليصبح فوزية، و"خيال المآتة" علي الذي لا يهش ولا ينش، وسميرة... الأرملة السوداء، التي سوَّدت نهاري وغيَّمت ليلي. أسوأ صفة يمكن أن تمتلكها امرأة، أن تشعر أنها الرَجُل. سميرة تعاملني كأنها هي الرجل

t.me/qurssan

وأنها زوجي، كأنها وليُّ أمري، كأنها حصلت على مكافأة نهاية خدمتها لسيد يوسف. تسألني أسئلة أم لطفلها، تلميذ الأولى ابتدائي، عن عدد الحصص وجدول كل يوم، وواجب العربي وواجب الحساب، ومن الذي أكل منك السندويتشات.

في بادئ الأمر، لم تكن علاقاتي خيانة لها بالمعنى المفهوم. فقط كنتُ أستشعر بأنف الصياد روائح النساء من حولي. هذه تمر بأزمة حب من طرف واحد، هذه أتت لتوها من معركة حامية الوطيس مع زوجها، انتهت غالبًا بـ "علقة" ساخنة أو "فردة شبشب" التصقت بجبهتها، ربما لم يترك لها المصروف، أو "قفشت" على هاتفه رسالة مريبة من إحداهن. وهذه تبدو باحثة عن شيء ما، طاقتها الجاذبة تعمل بأقصى حدودها، تلهث بعينيها وراء معجب أو مُغازل، حسنًا يا جميلة، صيادُكِ هنا.

لم أعرف يومًا إحساسًا بالندم أو الذنب تجاه سميرة، وكنتُ أؤنب نفسي على ذلك. لماذا لا أحمل تجاهها أي شعور بالتقصير أو الغدر أو الخيانة أو الشفقة أو أي شيء يبدو في صالحها!؟ أعود إلى القيلا بعد يوم طويل -لا أقضيه كله في التصوير بكل تأكيد- تستقبلني هي بحفاوة واحتضان لا أكاد أصدقهما، وأحتضنها أنا وأضغط بأصابعي على خصرها حتى تتألم وتتململ، لا أفعل ذلك بدافع الافتقاد، إنما لأعوض إحساس الحضن البارد الجاف، وأوهمها شعورًا بالحب والحنان لا أقوى على إعطائه بصدق.

كنتُ أسمعُ تشنجات بكائها كل ليلة، هل تتذكر ابنتها نور وتفتقدها؟ هل تأسى على حظها العثر الذي أتى بها من برج الهوانم، ووضعها وسط هؤلاء البؤساء، الذين علَّمتهم "الإيتيكيت" ونزعت عن جلودهم "الجلخ"؟ كنتُ أحيانًا أكتم أنفاسي كي لا تشعر باستيقاظي، ومن ثَمَّ أصبحُ مطالبًا بالاحتضان و"الطبطبة"، وأحيانًا كنتُ أمدُّ يدي إلى دموعها أمسحها، وأقبِّلُ أذنها فتهدئها أنفاسي، لا لشيء إلا لأني على موعدٍ مع إحداهن في الصباح، ولا أريد سؤالًا عن أين سأذهب ومتى سأعود.

كم أنتظرُ التخلص منك ومنه في آنٍ واحدٍ يا سميرة. نفس اليوم الذي أحصل فيه على إيصالات الأمانة من إسماعيل، هو اليوم الذي ستكونين فيه حرة إلى الأبد. أعرف أن هذا اليوم ليس قريبًا ولن يأتي بسهولة. فحتى إذا ادخرت مبلغ الإيصالات كاملًا، لن يتركها لي إسماعيل، حيث إنها الرابط الوحيد الذي يضمن ولائي له ولمجموعته. هو يعلم أنني حرٌّ طليق لم يربطني بهذا الكهف إلا الشديد القوي. ولكنني لم أستسلم، فبالتأكيد ثمة طريقة آخذ بها أوراقي، وأهرب من بين فكي الأسد. أهرب وحدي يا سميرة.

t.me/qurssan

سيد يوسف (15 سبتمبر)

إنه الحزن، أعرفه جيدًا، يمكنني أن أتشمم رائحته على بعد كيلومترات. أراه حين يقف على باب حمامي فلا أدخل للتحمم، ولا أقرب المرآة. أراه حين أدخل البيت؛ شخصًا رمادي الوجه كبير الملامح، يجلس على كنبتي ويحمل كتابي ويشرب القهوة في فنجاني، وإذا رآني يهب واقفًا مبتسمًا ويأتي إلي ويلفني بذراعه "كنت فين يا راجل كل ده؟ أنا مستني من بدري". يطفئ الأنوار، يغلق التلفزيون، ونجلس معًا نحتسي قهوة سادة تحمل مرارته ومرارتي.

صادفتُها اليوم في أحد "المولات" الكبيرة، كانت هي تتأبط ذراع محجوب، يبدو أنها تزوجته، وحتى إن لم يتزوجا، فقد حدث بينهما تخطي الحدود. كنتُ أنا أسير واضعًا يدي اليُسرى على كتف نور. وقفتْ نور والتفتت إلي بقوة ودهشة، كأنها

هي من يشعر بالخيانة، الخيانة! يا لها من كلمة. أتصورها مكتوبة على شكل خنجر، والتاء المربوطة تأتي مدببة مسممة في نهايته، كأنها رأس سهم. إذا كان الله هو من يضع الحب في القلوب، لماذا لا يسحب هذا الحب في الوقت المناسب ويضع مكانه آخر، أو لا يضع!؟ وأين يذهب صاحب الحب المخدوع بقلبه!؟ كيف يحيا به جريحًا هكذا؟ هل الإخلاص مرتبط بأول الحب فقط!؟ في البدء كلهم يُقسمون ويُعاهدون ويُخلِصون، ثم ماذا؟ هل ينسون ذكرياتهم معنا أم يبكونها مثلنا؟ هل يبتسمون حين نعترض مخيلتهم؟ هل يندمون على خيانتنا؟ أكاد أراهم يتلفتون حولهم دومًا، حتى وإن برروا لأنفسهم أنها "فترة وتعدي، تجربة وهتخلص، مشاعر اتكونت غصب عننا وإلخ إلخ". لن تسامحهم ضمائرهم أبدًا وإن نحن سامحناهم!

كانت اللحظات التي توقفتها نور في مواجهة أمها طويلة، بما يكفي لأن تنظر إليها سميرة باندهاش وارتباك، أفقداها القدرة على التصرف وعطَّلا لديها حِسَّها الأمومي، فلم تجرِ إليها ولم تأخذها في حضنها كما تفعل أمهات الأفلام. كانت اللحظات طويلة بما يكفي، لأن تملأ نور عينيها بخزي أمها، وتسحبني من يدي كأنها أمي، وانصرفنا بهدوء وبخطوات ثقيلة لم تقوَ على الفرار.

لم تمر الأسابيع التالية لهذا اللقاء بسلام، مرضت نور بشدة وحار فيها الأطباء، معظمهم عزا الأمر إلى حالتها النفسية المتردية. لم أجد بُدًّا من الاتصال بسميرة كي ترى ابنتها، وما لم أكن أتوقعه أن تَعِدَ بالحضور ولا تفي، مرة ثم مرة ثم مرات.

t.me/qurssan

وبعد عشرة أيام توقفتُ أنا عن الملاحقة، وتوقفت هي عن إصدار العهود.

- يا أستاذ سيد، بنت حضرتك بقت مهملة في مذاكرتها وتمريناتها، وحتى في شكلها. أنا شايف إن البنت بتمر بحالة نفسية مرتبكة، وكل زملائها في الفصل ملاحظين كده. أقترح على حضرتك لو تعرضوها على دكتور يكون أفضل. ده حتى البيانو بطلت تقرب منه خالص!

تجمدت الحياة في عروق ابنتي نور، أصبحت من ذوات الدم البارد. لا تكاد شفتاها تنفرج عن ابتسامة إلا كل يومين أو ثلاثة، وعلى عكس طبيعتها، كانت تلتهم الطعام بكميات غير مفهومة. تملأ الملعقة عن آخرها وتقذفها داخل فمها، وتغرسها في الطبق مجددًا. نور التي كانت أمها تطاردها لتنهي ساندويتش الإفطار وكوب اللبن، أصبحت تُنهي طبقها مرتين أو ثلاثة. تكوَّر جسدها واتخذ ملمسًا مطاطيًّا، ولم يعد هناك مزحة ولا سخرية بين بنات الفصل، غير نور الفراشة التي تحولت بقدرة قادر، إلى دب قطبي سميك الجلد واللحم، والشعور!

t.me/qurssan

حبيبة (1 سبتمبر)

يقول فرناندو بيسوا "لدي كتابٌ صغير أكتب فيه حين أنساك، كتاب ذو غلاف أسود، لم أخط فيه كلمة بعد".

فعلتُ كل الأفاعيل كي أنساك يا علي. اتَّبعتُ كل وصفات النسيان المؤقت ومسح الذكريات، لكنني على ما يبدو نسيت تفصيلة صغيرة، فكانت النتيجة أن أحببتك أكثر.

شهرٌ كاملٌ مرَّ لم ألتق بك، ولم أرد على مكالماتك، ولم تجرؤ أنت على الحضور إلى البيت كما فعلتها سابقًا. لكن طبيعتي غير الانهزامية رفضت ذلك يا علي. رفضَتْ أن تترك شيئًا مني هناك لهذا الرجل غريب الأطوار، رفضتُ من أعماق وعيي أن أترك يديك تنسل مني إلى قاع البحر، هيهات أن أتركك للحيتان يا علي.

جمَّعت في ذاكرتي صورة إسماعيل وسميرة، استدعيتُ مشهد جلوسهما أمامي كاملًا ورسمتهما. رسمتُ الملامح كما رأيتها، والغمزات واللمزات التي استشعرتها، حاولت رسم الطاقة التي وصلتني منهما، نظراتهما، طريقة الجلوس، مسكته للسبحة، تنظيفها للوحات، إشاراتها إلي لأضبط شَعري... وضعتُ كل شيء على هاتين اللوحتين الصماءتين. شعرت حين انتهيت منهما بعد شهر، أنني تقيأت ما في بطني، شعرتُ كمن اغتُصِبت وانتُهِكت ثم تطهَّرت ومسحت عنها الوسخ. ورغم ذلك لم أتطهر من حبك يا علي، اكتشفتُ أنني أحببتك رغمًا عني وملأتني رغمًا عني، وأنني حبلى بهذا الحب، رغم كل محاولاتي للإجهاض.

سأنحِّيك يا علي من المعادلة تمامًا. كي أحافظ عليك لا بد لي أن أفقدك مؤقتًا. أو أن أدَّعي فقدانك.

وقفتُ بسيارتي حوالي نصف ساعة أمام باب الڤيلا، شيءٌ مثير للتساؤل ألا يكون لكل هذه الڤيلا بوَّاب. فقط "الإنتركوم" هو من يقوم بالمهمة. لا غرباء في المكان، فقط أفراد المجموعة الذين حدَّثني عنهم سمو البرنس. لا طباخ لا بواب، لا سائق، لا عامل "ديليڤري" يأتي لتوصيل الطلبات. أفراد المجموعة يقومون بكل ذلك كجزء من تدريباتهم، تمامًا كعساكر الجيش الذين تأتي خدمتهم في أحد بيوت الضباط.

رتَّبتُ أفكاري وضغطت زر الإنتركوم، تعمَّدتُ ألا أرتدي نظارتي الشمسية، حتى لا أُسأل السؤال التقليدي "مين؟". أردتُ اختصار هذه اللحيظات قدر الإمكان، وأن أنفذ إلى الداخل

t.me/qurssan

بسرعة قبل أن أغير قراري، ورغم ذلك أتاني صوتها الناعم المتسلل كالأفعى "مين؟"، نظرتُ إلى الكاميرا أمامي وابتسمتُ ولم أرد. شعرتُ بالمباغتة في رنة صوتها واهتزازة السؤال "أهلًا يا حبيبة، إنتي مش عارفة إن الزيارة هنا لازم تبقى بميعاد من أستاذ إسماعيل، ومفيش زيارات مفاجئة؟"، أجبتُ بثقة شديدة من الجزء الأعلى من جسدي، بينما الجزء الأسفل يرتعد كأنه مصاب بشلل رعاش. أجبتُ بهدوء وبطء، كي أعطيها الفرصة لتنادي إسماعيل، وتخبره بوجودي "أيوة عارفة إن الزيارة بميعاد، أنا فعلًا غلطانة إني جيت، ومش هكرر الغلطة دي تاني أبدًا".

وليتُ ظهري للباب. فتحتُ حقيبتي وأخرجتُ نظارتي الشمسية ببطء شديد. رباه أنا أعلم يقينًا أنه لن يترك فرصة تجنيدي، ولن يقاوم إغراء اصطياد فريسة جديدة. هل أخطأتُ التقدير يا رب؟ ألن تقف إلى جواري وتُلهمني خطة اصطيادهم ومعرفة ما وراءهم؟ ارتديتُ النظارة وضغطت زر "السنترلوك" بينما أتوجه بخطى متمهلة إلى باب السيارة، أقاوم رغبتي الشديدة في النظر إلى الخلف، إلى باب الڤيلا. ثم توقفتُ، توقفتُ وانغرست كعوب حذائي في الأرض، حين سمعتُ خلفي صرير الباب يُفتح.

ابتسمتُ إلى سيارتي، شريكتي الوحيدة في المهمة، وتمتمتُ في سري أُشهد هذه الشجرة الوحيدة في المكان على هذه اللحظة، لحظة دخولي إلى صرح إسماعيل وعلى أيامٍ عجاف ستأتي بعدها.

t.me/qurssan

بربنط

رغم كل جهوده كي يبتعد عن سكة ماهر، ظل إسماعيل يقترب منه أكثر دون أن يدري، وكلما سار في طريق ظنَّ أنه يبعده، وَجَدَ ماهر في نهايته.

كنا في الشهادة الثانوية حين صرَّح إسماعيل لوالده بأنه يحب ويريد أن يتزوج. لم يرفض والده فكرة زواجه المبكر جدًّا، لكنه قال صراحة إنه لن يدفع مليمًا في هذه الزيجة، فهو رجل لديه من الأولاد الكثير، ومنهم البنات اللاتي وراءهن "همّ ما يتلمّ". الأولاد سيكبرون ويعملون ويكسبون من عرق جبينهم، بينما تظل البنات في رقبته حتى نهاية عمره. حينها قرر إسماعيل في خطوة متهورة غير محسوبة، أن يذهب بنفسه ليتقدم للفتاة، ومن تكون الفتاة؟ "سماء" جميلة جميلات

البنـدر التـي تـأتي للتنـزه في القريـة كل إجـازة، وفيـما عـدا ذلـك تعيـش مـع خالتهـا في القاهـرة وتـدرس في مدرسـة الراهبـات.

رآهـا إسـماعيل أول مـرة تسـير وحدهـا بجـوار الترعـة ترتـدي "بنطلـون" أسـود مـن الصـوف و"بلوڤـر" أحمـر ذا رقبـة عاليـة، كان ذلـك في شـتاء إجـازة نصـف العـام في الصـف الثالـث الإعـدادي. وكانـت "سـماء" لا تـزال بعـدُ طفلـة في الابتدائيـة. كنـا مجموعـة مـن الشـباب نلعـب الكـرة في الأرض الواسـعة المطلـة عـلى الترعـة، حـين وقـف إسـماعيل في منتصفنـا، وسـأل بصـوت مرتفـع: "بـت مـين دي؟". فأجابـه أحدهـم: "دي سـماء بـت الظابـط ممـدوح، أخـت الـواد ماهـر".

توقفـت الفتـاة حـين سـمعت اسـمها، ونظـرت إلينـا باندهـاش. تحـرك إسـماعيل في اتجاههـا بجسـده الضخـم، وجلبابـه المتسـخ المشـمر إلى ملابسـه الداخليـة، وبشرتـه المحترقـة وشـفتيه الغليظتـين المتدليتـين. لا أعـرفُ كيـف رأتـه الفتـاة وقتهـا، لكنهـا جَـرَت مـن أمامـه كمـن رأى عفريتًـا أو شـيطانًا رجيـمًا.

حـاول أن يسـتفهم عـن شيء أخافهـا، أو يـبرئ نفسـه مـن أي كلام سـمعته بيننـا وضايقهـا، فجـرى خلفهـا وهـي لا تـزال تركـض بـكل سرعتهـا، حتـى وصلـتْ إلى دارهـا. وقـف إسـماعيل أمـام البـاب ينتظـر منهـا طلـة أخـرى، أو تبريـرًا لهـذا الهـروب، لكنهـا لم تظهـر ذلـك اليـوم أبـدًا.

منـذ ذلـك الحـين وإسـماعيل ينتظرهـا كل إجـازة، يتحـيَّنُ مواعيد تمشـيتُها في الحقـول، وحـين لم تجـرِ منـه كالمـرة الأولى، طـنَّ أن حبًّـا ينشـأ بينـه وبينهـا، وأن القـرب المُنتَظـر لم يعـد بعيـدًا. ولمَّـا تنصَّـل

t.me/qurssan

الشيخ عبد القادر من تكاليف الزواج، دون حتى أن يسأل عمَّن تكون الفتاة، ذهب إسماعيل بمفرده ليطلبها.

أنا شخصيًّا كنتُ أتوقع أن ينتهي ذلك اليوم بمشاجرة دامية بين إسماعيل وماهر، أو أن يتلقى "علقة" تذكارية من الظابط ممدوح، لكن ما حدث كان أهون بكثير، أهون وأقسى: ضحك.

لم يفعل الظابط ممدوح شيئًا حين سمع كلام إسماعيل، سوى أنه ضحك حتى تسلل ريقه خارج شفتيه، وبلل ذقنه المدببة الصغيرة. وإسماعيل أيضًا كان يضحك، ولكن عينيه هما المبللتان بالدموع.

لم يترك ماهر أحدًا في الجوار، إلا وحكى له قصة العاشق الولهان، الذي يحلم ببنت السلطان. وكل من يعرف القصة لا يفعل سوى الضحك، حتى إخوته من أبيه ضحكوا.

أصبح إسماعيل يرى كل الناس يضحكون، ويضحكون منه تحديدًا، إلى درجة أن جارنا الحاج صبحي "قفشه" ذات نهار يضرب الجحش الصغير في الزريبة، الجحش الغلبان يجري وإسماعيل يجري خلفه، ويضربه بالخرزانة بكل قوته. وحين دافع الحاج صبحي عن جحشه، قال إسماعيل إن الجحش كان يضحك منه، فمنذ متى والجحش يفتح فمه إلى هذه الدرجة وهو ينهق، إلا إذا كان يضحك!؟ ثم تكرر الأمر بعد ذلك بأسبوعين مع بَط الحاجة نعمة. أصبح إسماعيل يرى الكون كله يضحك، إلا هو.

t.me/qurssan

سميرة (22 ديسمبر 2016)

لا أريد الإنجاب من محجوب. لا أريد أن أحمل النسخة المصغرة من هذا الخنزير الذي تقيأ بداخلي ما استطاع. أرفضه كل يوم أكثر مما أفعل في سابقه، أرفض رائحة سجائره التي تختلط بأصواف البلوڤر في الشتاء. أرفض شعره المصفف بعناية كلما خرج، وعطوره النفاذة التي تتبدل حين يعود، وأجد مكانها روائح النساء، روائح أنفاسهن حين يحتضنَّ زوجي، روائح عرقهن وارتباكهن ومساحيق التجميل المختلطة باللعاب، حتى المرات القليلة التي حدث بيننا فيها ما يحدث بين النساء والرجال، كانت تعذبني حتى أتخلص من جثته الجاثمة على صدري، وأهرع إلى حمامي، أترك الماء والصابون يغسلان عني أنفاسه ولمساته، وكلماته البذيئة، أجلس على ركبتي يختلط الماء بالدموع، لا اعرف أيهما الأكثر حرارة الذي يلسع خدي،

لكنني وبعد وقتٍ أشعر بطهارتي عادت إليّ بعد ما حدث، وكأن شيئًا لم يكن. أهرع إلى ركن الصلاة الخاص بي في غرفتي، وأنا العذراء مريم، لا تشوبني شائبة.

يقولون إن المرأة إذا تزوجت ازدهرت واخضرَّ عودها، وأورقت وأثمرت وفاحت منها رائحة الحب والدفء، وشاع من شفتيها نور الضحك والفرح، إلا إياي. منذ تزوجتُ محجوب فقدت خسمة عشر كيلوجرام من وزني، لم أعد بكامل صفائي الذهني وحيوية بدني. كنتُ أنا الحصان الأسود الرابح لدى إسماعيل، كان يُمطرني بالإطراء والثناء طوال الوقت، والآن تعتلي تلك "المزغودة" حبيبة عرش المجموعة. يلتفون حولها كالجراد، بما فيهم إسماعيل ومحجوب خاصة، بعد أن أصبَحَتْ تبيتُ معنا بعض الأيام. حتى ناديا تغيرت تمامًا منذ جاءت حبيبة، تتسلل ناديا إلى غرفة حبيبة ليلًا بعد أن ينام إسماعيل، وتسهران معًا حتى مشارف الفجر. أنفجرُ غيظًا وأحيانًا أبكي بحرقة، حين تنتابني الغيرة وأسمع ضحكاتهما وهمهماتهما دون أن تدعونني للانضمام، وأحاول جاهدة ألا أكشف بكائي لمحجوب، حتى لا أرى ابتسامة الشماتة والشفقة في عينيه. كانتا تتسامران طوال الوقت، وأنا أحاول أن أبعدهما عن بعضهما البعض بكل الطرق، لكن ذلك ما زادهما إلا التصاقًا.

حبيبة هي المقربة من ناديا الآن، حتى إنها عندما تحتاج إلى الاختلاء بنفسها لكتابة قصة جديدة أو مسرحية، كانت تترك ابنتها "مريم" في رعاية حبيبة، التي تعتني بالصغيرة كأفضل ما

t.me/qurssan

يكون، أفضل من ناديا نفسها. أين تعلمت هذه "المفعوصة" الاعتناء بالأطفال هكذا؟ طالما حاولتُ أنا أن أعتني بمريم، ولكن ناديا لم تكن لتسمح لي، كانت أنانية معي أنا وحدي. لكنها على أي حال -حبيبة- لا تجيد تنظيف البنت جيدًا وقت الاستحمام، تظهر منها رائحة الأطفال المختلطة بالـ "قشط"، رائحة كريهة لا تُطاق. وبالطبع أمها مشغولة بصناعة مجدها الشخصي، ولا مانع لديها من أن تكون ابنتها ذات رائحة كريهة طوال الوقت، هذا بخلاف كونها طفلة مدللة، يجري الجميع نحوها إذا بكت ككل الأطفال. ولكن كيف لا تكون ابنة "الغندورة" ست البيت مدللة إلى هذا الحد، "حتة جلدة حمرا لا راحت ولا جت بتسهَّر البيت كله لو تعبت ولا سخنت" كأننا لم نكن أطفالًا، ولم نكن ذوي أهلٍ ليدللوننا!

نعم كان لنا أهل، ولكنهم كانوا يتبعون التربية بالتعذيب بدلًا من التدليل. كانت أمي الفنانة التي ورثتُ عنها الرسم، سيدة حازمة لا ذات رحمة، سامحك الله يا شكرية! كانت تحبني أنا وأختي، لكنها لم تعرف شيئًا عما يقتضيه ذلك الحب. كانت تذهب إلى عملها في الصباح، وتتركنا لدى جارتنا العجوزة التي لم تنجب، كانت تأمل أن تعتني بنا السيدة مفتقدة الأبناء، وهي كانت تفعل ذلك فعلًا، ولكن على طريقتها!

"أنا هربيكم يا بنات آخر زمن. ده احنا مكناش أطفال على كده. تعالي هنا منك ليها"!

أتذكر يوم تشاجرتُ مع أختي على ما نشاهده في تلفزيون جارتنا، وأتذكر العقاب الذي تعرضنا له نحن الاثنتان. كانت العجوز التي لا أذكر اسمها الآن هي المرأة المُحجَّبة الوحيدة في عمارتنا آنذاك. لم تكن "موضة" الحجاب قد انتشرت بعدُ في أواخر السبعينيات. أحضرت الجارة الدبابيس الرفيعة التي تستخدمها في ارتداء حجابها، وظلت "تشكشكنا" بها أنا وأختي، حتى رجَّ صراخنا العمارة. وفي عقابٍ آخر أمسكت رأس كلٍّ منا، وأدخلتها في قاعدة الحمام. كانت تحيا في مستوى اجتماعي راقٍ، ولديها خادمة تنظف الحمامات كل يوم، ورغم ذلك لا يمكنني أن أنسى رائحة ذلك الحمام حتى اليوم. رائحته تمر أمام أنفي كلما أردت عقاب تلك "المفعوصة" مريم على بكائها المستمر، الذي لا ينقطع طوال الليل. شكة دبوس واحدة يا مريم تجعلك تخرسين إلى الأبد، وإلا ستكونين طفلة قليلة "الربايـة" والأدب!

الست حبيبة هانم كانت تظن أنه يعبث معنا، وأنه ليس هناك تدريبات ولا "دياولو"، وهو من ناحيته لم يكن متعجلًا عليها، هي صيدٌ ثمين ووراءها كثير. استشعر إسماعيل قوة شخصيتها مذ رآها للمرة الأولى مع علي. اتصل بها صباح يوم وطلب منها الحضور حالًا من عملها، رَفضَتْ بأن لديها الكثير لتنجزه في العمل. لم يكن معتادًا على قول كلمة "لا" من أيٍّ من أفراد المجموعة، حتى أنا.

t.me/qurssan

"هـي فاكـرة نفسـها مـين بنـت بـارم ديلـه!؟ مبقـاش أنـا إسـماعيل إن مـا علّمتـك الطاعـة عـلى أصولهـا يـا حبيبـة"!

ثـار وفـار حتـى جـاءت في السـابعة، وكان قـد أفـرغ كل مـا في جعبتـه مـن عصبيـة أمامنـا نحـن، ثـم اسـتلمته هـي في نهايـة اليـوم فارغًـا تمامًـا، هادئًـا جـدًّا، إلى درجـة أنهـا طلبـت منـه أكـثر مـن مـرة أن يُعـلي صوتـه، كي تسـمع مـا يقـول، وكأنهـا كانـت تتعمـد الجلـوس بعيـدًا عنـه، ليمتـد هـو بصوتـه حتـى تصلهـا كلماتـه.

- تدريبك الجاي في تركيا يا حبيبة، إنتي وعلي.
- إزاي؟
- هتسافروا تقعدوا هناك عشر أيام وترجعوا.
- أيوة يعني هنعمل إيه؟
- نفـس الـلي بتعملـوه هنـا. تجمعـوا معلومـات عـن أي شيء وأي حـد، التدريـب مبنـي فقـط عـلى فكـرة السـفر.
- أنـا سـافرت كتـير قبـل كـده ودي بالنسـبة لي مـش حاجـة صعبة ولا محتاجـة تدريب.
- سافرتي من غير فلوس؟
- يعني إيه؟
- يعنـي التدريـب إنكـو هتسـافروا بلـد مبتتكلمـوش لغتهـا ومفيـش معاكـم فلـوس، ولا مليـم. الفنـدق محجـوز مـن هنـا، وهتتحركـوا في البلـد كل يـوم وتخرجـوا مـن الأوتيـل عـادي جـدًّا. 10 أيـام مـن غـير فلـوس، ومـش هتاخـدوا أي فيـزا بنكيـة.

- نعم! وهناكل ونشرب إزاي؟
- في الفندق. وحساب الفندق هيتبعت لكم في آخر المدة، مفيش وجبات غير اللي هتاكلوها في معاد الأكل داخل الفندق. اعتبروه دايت.
- ولو حد فينا تعب واحتاج دكتور؟
- مش هتتعبوا.
- ولو احتاجنا تاكسي؟
- مش هتحتاجوا.
- ولو تُهنا؟
- لو تُهتوا تبقوا لا يُعتمد عليكو، وساعتها مترجعوش أحسن.

كنتُ أشعر بسعادة بالغة وأنا أفتش حقيبتيها الكبيرتين قبل التوجه إلى المطار، يهتز قلبي نشوة وأنا أُفرغ الحقائب المرصوصة بعناية من محتوياتها، لأتأكد من عدم وجود أي أموال أو فيزا بنكية أو ما شابه. كانت حبيبة تنظر إلي بتعجب لكنني لم أُبالِ، كانت هذه هي الأوامر، وأنا مجرد أداة تنفيذ. لم أشعر بنفس اللذة وأنا أفتش حقيبة علي، لذة الانتصار على هذه الصغيرة المُستجدة، تجعلني أرتعش فرحةً كطفلة شدت شعر طفلة أخرى، ولم تجد مدرسًا أو ولي أمر ينهاها عن فعلها.

t.me/qurssan

حبيبة (7 فبراير 2017)

تفاجأ علي بأنني ذهبتُ إلى الڤيلا دون الاتصال به، وأنني تخطيته إلى إسماعيل مباشرة، لكنها رسالة كان لا بد من إيصالها إلى هذا الرجل: أنا لستُ أقل منك وأنت لا ترأسني، ولن أخاطبك من وراء حجاب. ظل علي حوالي أسبوع يراقبني من بعيد، ولا يجرؤ على الاقتراب مني، حتى طلب مني إسماعيل أن أنتقل للعيش في الڤيلا كما الآخرين، وأن هذه هي الطريقة الأمثل للتعود على حياة المجموعة ومشاركتهم أفكارهم، وبالطبع كانت لدي فكرة عن توابع ذلك المادية، مِنْ تخلٍّ تام عن راتبي لكي يتم توظيفه في مصروفات البيت، لكنني تمسَّكتُ بأن أشارك مجرد مشاركة عينية، وبجزء من راتبي، أي إنهم يكتبون لي قائمة طلبات يحتاجونها من السوبرماركت أو

من السوق، أو أيًا ما يكون، وأقوم أنا بشرائها قبل عودتي إلى القيلا، وأن راتبي لن يمسَّه غيري.

لا أعرف لماذا أثار هذا حفيظة سميرة على وجه التحديد. عرفتُ فيما بعد أنها أتت بكل ميراثها عن والدها، وألقته في حِجر إسماعيل، وأنها أخذت قرضًا من البنك بضمان القيلا والسيارة التي تمتلكها، لتؤسس شركة مقاولات، ولكنها توقفت عن استكمال تأسيس الشركة، لأن إسماعيل أخذ جزءًا كبيرًا من القرض، أرسله إلى إخوته في البلد لتدبير شئونهم. ولم أعرف على وجه الدقة ما طبيعة هذه الشئون التي تحتاج إلى ملايين الجنيهات لتدبيرها. لم تبدُ سميرة متسامحة مع هذا الفعل، لكنها انصاعت كما تفعل دائمًا، وأصبحت الآن ككل الباقين؛ على فيض الكريم، غير أنها تقضي بالبيت معظم أيامها، فلا تأخذ مصروفًا يوميًا مثلهم.

"أنا مش عارفة انتي بتعاملليني كده ليه يا ست حبيبة!؟ إنتي فاكرة نفسك مين هنا؟ لازم تفهمي إني ساكتالك بس احترامًا لإسماعيل، لكن أنا أقدر أحطك ع الأرض وأدخل كعوب جزمتي دي في عينيكي الاتنين، لحد ما يخرجوا من الناحية التانية".

كان لافتًا لي بشكل صادم، أن تتجرأ وتفتعل معي المشكلات ثم تبكي لإسماعيل، وتشكيني إليه كما الأطفال. لم أصدق يومًا دموعها، ولا أعيد ذلك إلى الخلافات الكثيرة بيني وبينها. هي سيدة متبجحة وجريئة، تحاول تعويض النقص بداخلها. تقول أمام الجميع "أيوة أنا كنت مصاحبة محجوب وأنا متجوزة.

t.me/qurssan

حبيتـه أعمـل إيـه!؟ لكـن عـلى الأقـل أنـا أشرف وأطهـر مـن نـاس كتـير مـش قـادرة تعـترف بحقيقـة نفسـها ومشـاعرها".

ليـس هنـاك عـلى وجـه الدقـة وصـف محـدد يمكننـي أن أصـف بـه سـلوكياتها معـي، و"تلقيحاتهـا" عـلي، لكننـي أزداد إصرارًا يومًـا بعـد يـوم، عـلى اكتشـاف مـا يـدور في سرايـا المجانـين هـذه.

علاقتـي بأمـي توتـرت بعـد انضمامـي إلى هـذا المـكان. حـذرني إسـماعيل مـن التصريـح لأي إنسـان بمـا نفعـل، أو بالمـكان الحقيقـي الـذي أذهـب إليـه. أمـرني أن أفعـل مثـل الجميـع، وأوهـم جميـع زمـلائي وأقـاربي أننـي أذهـب في مأموريـات عمـل، لكنني لا أسـتطيع الكـذب عـلى أمـي. اعترفـتُ لهـا بـكل شيء. وهـي التـي شـجعتني عـلى المجـيء إلى هنـا، والبحـث خلـف هـذا الرجـل، لعلـه تنظيـم إرهـابي، ولا بـد مـن الإبـلاغ عنـه في الوقـت المناسـب!

لا تـزال أمـي تحتفـظ بالـروح الحماسـية، التـي أورثهـا إياهـا أبي رحمـه اللـه -ضابـط الجيـش الـذي فقـد بـصره في 73، لكنـه أبـدًا لم يفقـد بصيرتـه- كانـت تشـعر بمسـئوليتها الشـخصية عـن كل شيء، "ماسـورة" الميـاه المنفجـرة في الشـارع، وتضايـق المـارة منهـا، قطعـة الأرض التـي تحوَّلـت إلى مزبلـة يلقـي فيهـا السـكان بقايـا معيشـتهم، كـما أخـذت عـلى نفسـها عهـدًا بـأن تـؤدب صاحـب السـوبرماركت الـذي "يبصبـص للبنـات في الرايحـة والجايـة" كـما تقـول، وحقيقـةً هـو لم يَعُـد إلى هـذا الفعـل منـذ عـدة أشـهر، أو بالأحـرى منـذ أن ضربتـه زوجتـه "علقـة" سـاخنة أمـام بنـات الشـارع، بعدمـا أبلغتهـا أمـي بأفاعيلـه.

هي تعلم بكل خطواتي. وأعطيتها رسمًا كاملًا للفيلا من الداخل، وأسماء الأشخاص وصورًا فوتوغرافية لهم، صورتُها بهاتفي المحمول. كانت تبكي كل ليلة حين أهاتفها سرًّا وأبكي أنا أيضًا، لكنني أعرف أنني أفعل شيئًا مهمًّا، ليس ذلك الشيء الوهمي الذي انخرطنا فيه مع إسماعيل حتى آذاننا، بل إنه أمرٌ أكثر أهمية، وأنا لا أعرف عنه شيئًا حتى الآن، شيئ سيتضح لي حين أصل إلى حقيقة هؤلاء الناس، وحقيقة ما يفعلون في هذا الوكر.

كانت تركيا فرصة صافية لنتقارب أنا وعلي. كانت غرفتانا تقعان متجاورتين في أحد فنادق شارع بغداد، شارع عتيق يتجلى قِدَمُه في كهولة البيوت رغم جمالها، وفي الأشجار التي تظللها على جانبي الشارع. أشعر وأنا أجلس تحت هذه الأشجار، أنني في حضن جدتي، حضن عتيق مورق مثمر، صامت لكنه يعلم ويفهم ما أتيتُ لأجله. كانت التمشية بين البيوت والأشجار بمنزلة جلسات علاج روحية، أتخلص فيها من ذكرى إسماعيل وسميرة.

هل هي صدفة أم ترتيب قدري، أن يمتلئ الشارع على هذا النحو بمحال فساتين الأفراح!؟ كان علي يمسك بيدي كلما صادَفَنَا محلٌّ منهم، ويأخذني برفق إلى "فاترينة" العرض. كان يبتسم لي في انعكاس صورتنا في الزجاج، دون أن يلفَّ وجهه ناحيتي مباشرة، ربما أراد أن يعطيني فرصة لأخجل أو أرتبك، وليداري الزجاج اختلاجات أصابعي في كفِّه! الفساتين رقيقة

t.me/qurssan

وحالمة، وكلما أثنيتُ على جمالِ أحدهم، يقول لي وهو يضغط أصابعي: "جميل. بس مش قد جمالك لما تلبسيه".

كنا نمشي الشارع كله ذهابًا وإيابًا كل يوم، نجلس لنستريح، ثم نعاود السير، ولكن الغالب على المشهد هو السَّمَر الذي لا يتوقف، ونظرات علي التي تحيل خديَّ إلى حبتي طماطم. وما لم أكن أتوقعه، أن يتصل بي هذا المجنون على تليفون الغرفة في الثالثة صباحًا، ليسألني سؤالًا كان من الممكن أن يؤجله إلى الصباح، لكنني على ما يبدو قد رُزقت في حياتي بالمجانين:

- حبيبة، تتجوزيني؟ جاوبي بسرعة ومن غير تردد آه ولا لأ؟

- لو دلوقتي الساعة 3 الصبح، يبقى طبعًا لأ. لكن لو ممكن تسيبني أنام وتفكرني بالموضوع ده بُكرة، احتمال يبقى أيوة. تصبح على خير!

أغلقتُ السماعة وأنا أكاد أصرخ في سماء إسطنبول، معلنةً حبي لهذا المعتوه، ومحذرة بنات حواء جميعهنَّ أنه لي، ومن ستفكر في الاقتراب منه، سأدفنها حية في مكانها.

آه يا علي! لم أتخيَّل يومًا أن أعيش قصة حب ملتهبة، كالتي عاشتها خالتي "شهيرة". أقرأ عن قصص الحب وأشاهدها في السينما، ولم أصدق يومًا أنها موجودة، وأن أبطالها دخلوا إلى عالم الكتب والحكايات من بوابة الواقع. حتى "طنط" شهيرة نفسها لم تتخيل أن حكايتها مع "أونكل" رؤوف، ستصير حديث العائلة والأصدقاء والجيران.

كانا شابين مراهقين، حين انتقلت أسرة جدي إلى المهندسين. كان أونكل رؤوف ما زال تلميذًا في المدرسة الثانوية القابعة على ناصية الشارع، وكانت مدرسة طنط شهيرة الثانوية أيضًا تقع على بُعد شارعين. وقع الفتى الغضُّ في حب بنت الجيران، وبدأت محاولات الغمز وحديث البلكونات المتقابلة في "أنصاص الليالي". كان ينتظرُ أمام مدرسته حتى تمر هي، ثم يتبعُها إلى مدرستها، وهكذا أثناء العودة إلى البيت. عامًا كاملًا وأونكل رؤوف يمشي خلفها من البيت إلى المدرسة والعكس، حتى ظهرت نتيجة الامتحانات، ودخلت هي كلية الحقوق ودخل هو كلية الهندسة.

- طيب يا رؤوف يا بني، إنت مش شايف إن الخطوبة كده هتطول أوي؟

- يا عمي أنا جيت لحضرتك دوغري وبصراحة، وأوعدك إن الأمور تمشي زي ما تؤمر لحد ما نتخرج ونتجوز على طول. دول كلهم سنين الكلية بس، وأهو بالمرة نكون حضرنا الشقة على مهلنا.

- وهو كذلك، خير البر عاجله. اندهي لشهيرة يا حاجة عشان تحضر قراية الفاتحة، على بركة الله.

عاشا أيام الحب التي نشاهدها في الأفلام الأبيض والأسود. جوابات الغرام المُلقاة في البلكونة، وممسوكة بمشبك الغسيل، مكالمات منتصف الليل بعد أن ينام الجميع، خروجات اللب والترمس على النيل بعد المحاضرات. وبعد التخرج توفرت لأونكل رؤوف فرصة سفر إلى أمريكا، براتب مثالي بمعايير وقته،

t.me/qurssan

لكن جدي رفض وفسخ الخطبة. كان رحمه الله يحب ابنتيه ولا يطيق فراق واحدة منهما.

زوَّج جدي خالتي شهيرة من ابن أحد أصدقائه، وسافر رؤوف إلى عمله بعد زواجها مباشرة. لم يعرفا شيئًا عن بعضهما البعض. ثلاثون عامًا عاشتها طنط شهيرة مع زوجها، حياة كاملة قضياها معًا، تخرج أولادهما وتزوجوا وأنجبوا، ثم مات زوجها.

- وهترجعي تعيشي لوحدك في المهندسين ليه يا أمي؟ ما تخليكي عايشة في شقتك أو تعالي عند حد مننا.

- معلش يا بنتي سيبيني على راحتي، أنا بتنفس أحسن في شقة المهندسين.

ولو تواعدتم لاختلفتم... حين عاد أونكل رؤوف بعد غربة ثلاثين عامًا، لم تطق زوجته الأمريكية الحياة في دولة نامية في العالم الثالث، زادت الخلافات... انفصلا. عاد هو الآخر ليتنفس أفضل في شقة المهندسين.

رآها جالسة حيث التقت عيونهما للمرة الأولى، في البلكونة القديمة ذات الدرابزين الخشبي المزخرف، والأرضية الضعيفة، التي تهتز وترتعش إذا مرَّت تحتها سيارة ذات موتور قوي، وتصدر صوتًا عاليًا.

"قول ورايا يا عريس، إني استخرتُ الله تعالى وأطلبُ الزواج منكِ لنفسي وبنفسي...".

بَـدَت كالقمـر المكتمـل في "التايـر" الأبيـض ذي الأكـمام "الدانتيـل". كانـت وجنتاهـا تنضـح حـمارًا وهـي تـردد خلـف المـأذون: "زوجتـك نفـسي بنفـسي عـلى كتـاب اللـه وسـنة رسـول اللـه...".

يسـتعيدُ جسـدي الآن قشـعريرة تلـك اللحظـة، التـي مـرَّ عليهـا عـشر سـنوات، حينـما كانـت دموعـي تنسـاب ولا أعـرف السـبب. يقولـون إنهـا دمـوع الفرحـة. عـشر سـنوات زواج وأربعـون سـنة حـب، منـذ التقـت قلوبهـما أول مـرة.

هـل تجعـل دمـوع الفرحـة تنسـاب منـي مجـددًا يـا عـلي؟ هـل تجعلنـي أقشـعرُّ خجـلًا حـين تـرددُ خلـف المـأذون: "وأنـا قبلـتُ زواجهـا"؟!

t.me/qurssan

باسم (15 فبراير 2017)

أصبحت هذه هي طبيعة العلاقة بيني وبين إسماعيل. علاقة معقدة مُربِكة لا أكاد أفهم لها رأسًا من رجل، علاقة زوجين لا يستغنيان عن بعضهما البعض، ولا يطيقان الحياة متجاورين!

هو لا يضع الحواجز بيني وبينه على الإطلاق، وكلما حسِبتُ ذلك شكلًا من أشكال التقدير والقُرب، يفعل ما يجعلني أعدل عن تفكيري فورًا. عقوباته لي تختلف عن عقوباته لأفراد المجموعة كلها؛ تحمل من الإهانة وكسر النفس، ما يجعلني أفكر كل يوم بالفكاك من قيوده وتدريباته وأوامره. لكنني مثل أفراد المجموعة كلهم، نخشى بطش الجهاز الذي يتبعه، حتى وإن لم نُصرِّح لبعضنا البعض بذلك، ونتظاهر بأننا نجلس هنا طواعية، وأننا سنخدم البلد حبًّا فيها وتضحية من أجلها.

لا، الحقيقة أننا جبناء لا نقوى على أن نتحدى هؤلاء الوحوش، الذين نسمع عمَّا يمارسونه داخل سجونهم ومعتقلاتهم. وهو ما لا يختلف في الحقيقة عن العقوبات التي أتعرض لها داخل الڤيلا.

كان من المفترض أن أستيقظ في التاسعة صباحًا، كي أصحب ناديا وابنتها مريم إلى طبيبة الأطفال، التي تقوم بالكشف الدوري على البنت. ولأنني كنتُ أتأرجح بين نبطشيات المستشفى وشركة الأدوية ليومين متتاليين، وعدتُ إلى البيت في السادسة صباحًا، نمتُ إلى العاشرة، ولم أستيقظ إلا على نغزات إسماعيل في كتفي وأنا نائم. وجدته يرفعُ عني "الجيبة" التي كنتُ أرتديها حسب تدريبي، ويشير إلى الشعيرات المنتشرة على ساقي:

- إيه القرف ده! إنتي لسه نايمة يا بروطة يا حيوانة؟!

- أنا هقوم حالًا أهوه. هي الساعة جت 9؟

- تقومي إيه قامت قيامتِك. فزي روحي مشوارك مع ناديا ولما ترجعي يحلها الحلال.

كانت فرائصي ترتعد وأنا أسترجع مشهد الجبن الرومي، ولا أعرف ماذا سيفعل بي هذه المرة. واكتشفتُ حين العودة إلى الڤيلا بعد ثلاث ساعات، أن الوقت لم يسحب من غضبه شيئًا، وأن خيالي في تصور العقاب كان قاصرًا. منعني من الخروج من البيت طوال اليوم، و أمرني أن أجلس في غرفتي لا أخرج منها، حتى يعود جميع الأفراد من أعمالهم في المساء، وحينها سأعرف

t.me/qurssan

ما ينتظرني. مرَّت الساعات ثقيلة لا أنا مستيقظ ولا أنا نائم، وقوع البلاء ولا انتظاره. كان يقتلني ببطء، وحين اجتمع الأفراد وأرسل سميرة لتحضرني، تمنيتُ لو طال انتظاري إلى الأبد.

حينما دخلتُ إلى غرفة الاجتماعات، وجدتُ إسماعيل ونادیا ومحجوب وبربنط وعلي وحبيبة، ودخلتْ سميرة خلفي.

- اقلعي يا فوزية!

- نعم؟

- اقلعي هدومِك كلها وخليكي بالبوكسر.

نظرتُ إلى عيني ناديا التي طأطأت رأسها إلى الأرض، وسميرة التي وقفت تعقد ذراعيها إلى صدرها، وتنظر في عيني مباشرة، وأظنني لمحتُ شبح ابتسامة يخيم على شفتيها.

- احنا هنا كلنا واحد، مفيش فرق بين بت وواد، ونادیا وسميرة وحبيبة اخواتِك في الأول وفي الآخر. يلا يا فوزية اقلعي.

- مقدرش أقلع قدام ستات.

- هاهاهاها مانتي دلوقتي ست زيهم. لو مقلعتيش من نفسِك لحد ما أعد 10، هخلي الولاد يمسكوكي ويقلعوكي بالعافية وهسحِلك عريانة. واحد، اتنين، تلاتة، أربعة... عشرة. قلعوها يا محجوب.

- تنهَّد محجوب كأنما المهمة ثقيلة عليه هو أيضًا، وأمسك بذراعيَّ إلى الخلف، بينما لم يتحرك بربنط ولا علي، فضرب

إسماعيل بربنط على قفاه طرحه من الكنبة إلى الأرض: "مش سامعني بقول قلعوه يا اخرس انت؟!".

أمر محجوب أن يأتيه بالحبل، وربطني من رقبتي وجرجرني أرضًا عبر الغرف الثلاث، وأنا لا أسمع إلا صوت بكاء لا أعرف مصدره، وصوته كان الأعلى والأبرز، لم أتبين منه إلا كلمات: الأخوة، المسئولية، التدريبات، الرجولة، الإرادة. ثم بدأت الأصوات تتداخل والأرجل تعبر من فوقي، والظلام يحلُّ شيئًا فشيئًا.

t.me/qurssan

محجوب

تعمَّق إحساسي بشرعية علاقاتي بعدما علم بها إسماعيل، كان يلعب معي لعبته الشهيرة "أنا ميعجبنيش الحال المايل، واللي بتعمله ده آخرته وحشة". كنتُ أرتعد من الجملة، وأتذكر كل كوارثي ومصائبي، وأحاول أن أستشِفَّ من كلماته أي كوارثي وأحوالي المائلة يقصد.

كنتُ. أما الآن وقد أصبحتُ المموِّل الأكبر لمصروفات المجموعة، من إيجار إلى أكل إلى شرب إلى ملبس إلى جولات ترفيهية وسفر، أصبحتُ لا أخشى كلماته المستفزة المتجبرة. أنظرُ في عمق عينيه، وأستمتع برؤية الكذب يتلوَّن بين الخوف من أن يتم اكتشاف حقيقته، والتخفي وراء الصوت العالي والعصبية المفرطة. أستمتعُ برؤيتك يا إسماعيل وأنت تداري خوفك وارتباكك، وتلفيق الكذبات في ذيل الكذبات. وأصبحت خطيئتي

في مواجهة خطاياك، وليس هناك من يلوي ذراع الآخر، فكلتا ذراعينا مقطوعتان.

فتاتي الجديدة ليست من بنات الطرقات كسابقاتها. "يارا" ممثلة شابة في الفيلم الذي أصوِّره حاليًا. شابة سنًّا وجسدًا وروحًا. خطفتني من كهف الكهولة الذي دخلته منذ زواجي من "أم أويئ" الباكية دائمًا. أتعجل الأيام التي تأتي فيها لتصوير مشاهدها، أراقب عنفوان سلوكها وتحمُّلها لإعادة المشاهد، بصبر ومثابرة حتى يظن الجميع أنها لن تفعلها، ثم تجدها فجأة تتألق وتجمع تصفيق "الكاست" كله، ونظرات الانتصار تتقافز في عينيها كطفلة مجتهدة. لن أبالغ وأقول إنني أحببتُها، لكنها أصبحت ذات أهمية في يومي كي يستقيم، كفنجان القهوة الصباحي والسيجارة التي تصحبه.

لا أعرف لماذا لم أحاول أن أقربها أو أن أستدرجها إلى أي شيء كما كانت نيتي، أو فلنقل كما هي رغبتي. هل أنا خائف من ردة فعلها؟ هل أنا أحترمها مثلًا!؟ هل أخشى على طفولتها البريئة من قذارتي؟ لا أعرف. لكنني طلبتُ منها ذات يوم أن تعرفني على والديها، وكان ذلك مفاجأة لها ولي على حد سواء. فأنا لم أكن أخطط لذلك، ولا أرغبه حقًّا، فلماذا تهورتُ وطلبته بهذا الإلحاح؟ يبدو أنه لم يكن لساني، كان لسان القدر الذي أراد أن يوقع إسماعيل في الشَّرَك الذي صنعه بنفسه.

"ماهر ممدوح" والد صديقتي الجديدة، ضابط بأمن الدولة ذو رتبة عالية. توطدت علاقتنا سريعًا، ربما على أمل منه أن أخطب ابنته، وربما يكون ذلك في إطار توسيع شبكة علاقاته

t.me/qurssan

على عدة مستويات اجتماعية. لكن الأهم من ذلك، أن تلك العلاقة أصبحت على ثقة متبادلة من طرفينا، جعلته يحكي لي عن بعض الملفات التي هو مسئول عنها في الجهاز، وحكيت أنا عن زميله السري، قائد المجموعة أ، "إسماعيل عبد القادر الصعيدي".

t.me/qurssan

بربنط

أراد إسماعيل أن يدخل كلية الشرطة مثلما فعل ماهر ابن الضابط ممدوح، ومؤهلاته الجسدية كانت تسمح بالفعل، لكن مؤهلات العائلة والنسب لم تكن لتسمح. الشيخ عبد القادر لم يصبح ذا بالٍ لمتطلبات عياله الكثيرين، ولم يبقَ له إلا أمه فتحية، التي تورددت إلى زوجة الضابط ممدوح حتى يتوسط لابنها. والحقيقة أن "الحاجة فوزية" لم تدخر جهدًا، وبفضل "زنِّها" على زوجها أصبح لإسماعيل مكانٌ في كلية الشرطة، ثم في جهاز أمن الدولة.

هذا الجهاز كان حلم إسماعيل منذ طفولته، ربما دون أن يعلم هو نفسه ذلك، ولم يعلنه صراحة. لكنه كان يتقصَّى أخبار الآخرين بشغف، يستمتع بالهبوط على الناس في بيوتهم، في أوقات مفاجئة، كأنه يضبطهم بفعل فاضح، كلما وجد مجموعة

مـن زملائنـا يتهامسـون، سـار إليهـم بخطـى بطيئـة، ووقـف عـلى مقربـة منهـم يسـمع مـا يقولـون. كنـتُ أقـول لنفـسي، كل شـخص لـه محاسـنه ومسـاوئه، وإن الإنسـان كلـما كـبر ازداد عقـلًا واتزانًـا، وتخـلى عـن كثـير مـن هفواتـه.

حتـى فـترة خصامـه لأبيـه وأمـه، ظننـتُ أنهـا خلافـات عاديـة كالتـي تحـدث بـين الآبـاء والأبنـاء، لكـن الخلافـات العاديـة لا تسـتمر أبـدًا إلى ثـلاث سـنوات، عاشـها إسـماعيل معهـم في نفـس البيـت لا يحادثهـم ولا يـردُّ عليهـم. يدخـل المطبـخ ليـأكل بنفسـه، ولا يلتـف معهـم حـول طبليتهـم الخشـبية الصغـيرة، اشـترى لنفسـه تلفزيونًـا صغـيرًا مسـتعملًا، كي لا يشـاركهم لحظـات سـمرهم آخـر الليـل. وحـين مـرض أبـوه مرضـه الأخـير، توسَّـط إخوتـه وأعمامـه ليذهـب إلى أبيـه الراقـد في بيـت زوجتـه الثانيـة، وأن يطلـب منـه السـماح عـلى مـا فـات، رفـض وأقسـم أن لـو مـات أبـوه، لـن يحضر غُسـله ولا دفنـه، وهـو مـا حـدث.

t.me/qurssan

حبيبة (21 مارس 2017)

تقول الحكمة "لا تندم أبدًا، فلو كان الماضي جيدًا فهذا رائع، ولو كان سيئًا فهذه خبرة". لكنني الآن أندم، لا لأن الماضي سيئ، بل لأن الواقع هو السيئ، والمستقبل ليس متوقعًا لأن يكون أفضل.

كأنني لا بد أن أستأذن إسماعيل بك قبل أن أشتري شيئًا لأمي، كأنني أصبحتُ أسيرة ها هنا، ولم أعد أحتكم في ممتلكاتي بعد الآن! بعد عودتنا من تركيا كنتُ أشعر بفخر الجَلَد والتحمُّل، لكنني شعرتُ بغصة الوحدة وكسر الظهر، حين عاقبني إسماعيل لأول مرة. كانت أمي تفقد نور عينيها رويدًا رويدًا، وأجمع الأطباء على ضرورة ارتداء نظارة، أو إجراء عملية "ليزك" لتصحيح النظر قبل أن يضعف نظرها إلى درجة معينة. أنفقت مرتبي -شبه كامل- على عملية أمي،

وكان من إسماعيل ما لم أكن أتوقعه. خاصمني وحبسني بما تعنيه الكلمة، وأمرني أن أُجلس في غرفتي مدة أسبوعٍ كامل, لا أخرج منها إلا إلى الحمام، كأنني في سجن انفرادي. كان أمامي أحد خيارين؛ "أقلب الترابيزة" عليه وعلى مجموعته وتدريباته وأوامره ونواهيه، أو أن أتحمل حتى أخرج من هنا بعلي، بإرادته أو رغمًا عنه.

كانت عيون سميرة تلمع كالنجوم، حين تدخل إليَّ في غرفتي تضع لي صينية الطعام على الأرض، ثم تخرج دون أن توجِّه إلي كلمة، وهذا على أفضل تقدير، ولكنها في الأغلب كانت توبِّخني على خطأي بطريقة أو بأخرى. يأتيني الأكل في نفس مواعيد الأكل الجماعي للمجموعة، أنا أجلسُ وحيدة في الغرفة، آكل على الأرض، وحبيبي يجلس إلى السفرة خارج الباب، على بُعد خطوات، يأكل جنبًا إلى جنب مع من يذلني الآن ويتلذذ بوحدتي.

كنتُ كلما رفعتُ الملعقة إلى فمي تَطَرَّقتْ إلى أذني ضحكاتهم من السفرة، أو صوت تسامرهم وحكاياهم بعد الأكل. كانت دموعي تتساقط داخل الأطباق، وأمسحها من وجهي بسرعة، قبل أن يدخل إليَّ أحدهم ويشمت بانكساري. كنتُ لا أقرب الأكل في أغلب الأيام، فقط آخذ بعض ما في الأطباق، وألقيه من شباك الغرفة، وأغمد الملعقة في كل الأطباق، حتى تحمل رائحة ولون الأطعمة، بينما لم ينغمس لساني في شيء. يكفيني ألمُ ما انغمس فيه قلبي.

t.me/qurssan

أشدُّ الألم أيام كان علي يجلس إليهم يضاحكهم، ويشاركهم ما يفعلون، ويتركني ملقاة في غرفتي كالكلب الأجرب، لا أخرج إلا إلى الاستحمام، وأقطع الطريق من غرفتي إلى الحمام هرولة، كي لا يراني إسماعيل، فقد كان الأمر ألا يراني في مدة العقاب ولو صدفة، وإلا سيضربني أمام المجموعة كلها. كان يتلذذ بأن نخاف منه جميعًا، وأن يشم رائحة الشياط تخرج من أجسادنا من شدة الخوف.

لم يكن من شيء يهوِّن تلك الأيام، سوى ناديا وابنتها مريم. كانتا تأتيان لمجالستي خلسة، دون أن تدري سميرة، حتى لا "تقطِّم" ناديا بكلماتها النارية. كانت تجلس معي وتتحمل راضيةً مشاركتي وحدتي، في الوقت الذي كان الباقون يجتمعون في سهرتهم اليومية، يشاهدون التلفزيون، ويدخنون السجائر، ويلعبون "البلاي ستيشن".

كانت مكالمات أمي أيضًا من المهوِّنات العظام. كنتُ أنتظر حتى ينام إسماعيل وأهاتفها بالساعات، أسألها عن تفاصيل يومها، كما كنتُ أفعل حين أعود من العمل. كنتُ ألتصق بها في المطبخ، أحكي لها ما حدث لي منذ تركتُها في الصباح وحتى أعود، كنتُ كذلك من أيام المدرسة وحتى أصبحتُ مديرة قسم في مكان مرموق، لم تمُت بداخلي تلك الطفلة اللصيقة بأمها أبدًا. والآن أحكي لها تفاصيلي بعد اقتطاع جزء كبير من حقيقة ما أنا فيه.

يقولون إن السجين يتأرجح بين احتمالين لا ثالث لهما. أولهما أن يؤنب نفسه على ما فعل، وأن يخرج إلى العالم إنسانًا جديدًا

غير الذي دخل، وثانيهما أن يوقن أنه ظُلِمَ ظلمًا موجعًا ويكره كل من خارج الأسوار، ويتضخم يومًا عن يوم ليصبح وحشًا لا تحتويه قضبان القفص، ينتظر الخروج بالثواني والدقائق حتى ينهش من حبسوه، لا يترك بهم لحمًا ولا عظمًا، وهنا أيضًا يخرج شيئًا جديدًا غير الذي دخل. ترى على أي حال سأخرج من سجنك يا إسماعيل!؟

t.me/qurssan

علي (23 مارس 2017)

"كيف تنظر في عيني امرأة أنت تعرفُ أنك لا تستطيعُ حمايتها؟ كيف تصبحُ فارسها في الغرام؟ كيف ترجو غدًا لوليد ينام؟ كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام وهو يكبر بين يديك بقلب مُنكَّس؟ كيف تنظرُ في عيني امرأة أنت تعرفُ أنك لا تستطيع حمايتها؟ كيف تصبح فارسها في الغرام...".

كلماتٌ كنتُ أراها عادية، بل أقل. إلى أن أحببتُ حبيبة. لا أعرفُ إن كنتُ ماهرًا في المُداراة أم لا، لكنني حاولتُ قدر المستطاع أن أخفي تعاطفي معها. أعرف إسماعيل جيدًا ككف يدي هذا، حين يلمحُ في عين أحدنا تمسكًا بشيء ما، يفعل الأفاعيل كي يأخذه منه أو يبعده عنه.

لم أكن أريد أن ألفت نظر العالم إلى هذا الحب العظيم في قلبي لكِ. لكنني كنتُ أترفقُ بكِ في سجنك، علمتِ ذلك

أم لم تعلمي. كنتُ أرسل ناديا لتجلس إليكِ وتؤنسك، كنت أعرف أنك لا تأكلين ما تقدمه لك سميرة، كنتُ أبعث لك بأطباق أخرى مع ناديا، دون أن تعلمي أنها منِّي. كنتُ أحاول التخفيف عنكِ، بعيدًا عن مراقبة عيونه وعيونها يا حبيبة. كنتُ أتعمد أن أُحدث ضجيجًا خارج غرفتك بعد أن ينام إسماعيل، كي تفهمي أنكِ أصبحتِ حرة لبضع ساعات، تتجولين فيها خارج الغرفة، وتنظرين إلى جدران أوسع. كنتُ أدَّعي أنني آكل معهم، لكنني لا أفعل إلا بعد أن تُخرِج سميرة صينية الطعام من غرفتك، وأتأكد أنك أكلتِ. لم أخنكِ أبدًا يا حبيبة، بل كنتُ حبيسًا معكِ في سجنك أعاني ما تعانين، لكنني خفت على هذا الحب من أن تفضحه عيوني، فأخسركِ إلى الأبد.

أصبحتُ متأكدًا أن أيامي في حِجر إسماعيل في أفول، وأنه سيأتي يوم قريب تطلع علينا الشمس -أنا وأنتِ- في مكانٍ بعيدٍ عن هنا، ليس بالضرورة أن يكون بعيدًا بالمسافة، لكن القلب سيكون بعيدًا يا حبيبة عن كل هذا الهراء.

يقولون إن الجِلْد هو خط الدفاع الأول عن الجسم، هو الذي يتلقي كل الضربات الخارجية، ويصدها إن استطاع. كنتُ أنا جِلدُ إسماعيل وظهره، وعقله المدبر وذراعه المنفِّذ. تبًّا! ماذا إذًا كنتَ أنتَ يا إسماعيل؟ ماذا كان فيك لنفسك؟ كيف كان عقلك أنتَ وظهرك أنت وذراعك أنت؟

كانت ناديا تقول لي في خروجاتنا المختلسة، حين أوصلها إلى مكانٍ ما، إنها باتت تحيا مع رجل هجين، ليس له أصل، لا أصل مبدأ ولا أصل اعتقاد ولا أصل لغة ولا أصل دين، ولا أي

t.me/qurssan

أصل يرتد إليه حين يتوه، كما يفعل الراشدون، أو بالأحرى الطبيعيون. كان شيئًا ما بين الخوخ والتفاح، بين المانجو والبطيخ، بين الخيار والطماطم، بين البياض والسواد، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. كانت تعتقد أن روحه حين يموت، ستظل معلقة بين السماء والأرض، لن يقبله تراب الأرض، ولن تسمح بصعوده ملائكة السماء.

أحاولُ قدر المستطاع التخفيف عنها هي تحديدًا، كلُنا يمكننا أن نترك هذا السجن ونرحل عنه في أي وقت، إلا هي. رابطتها به تخطَّت كونها علاقة الفرد بالقائد، والتابع بالمتبوع، والآمر بالمأمور، والشيخ بالمُريد. علاقتها به أصبحت تحبو الآن على ركبتيها، وتستند إلى حواف الكراسي والجدران، كي تقف وتخطو خمس خطوات، ثم تقع على الأرض ضاحكة، رغم ألم الارتطام. علاقتها به اسمها مريم.

كانت ناديا تردد لي دائمًا الجملة الشهيرة، بأن من يريد أن يغير العالم، فليهتم بترتيب غرفته أولًا. كانت تدفعني دفعًا للهروب بحبيبة من هذا المعتقل، ذلك أولى بي من الانخراط في عمل وطني، ليس له ملامح حتى الآن. فالفتاة على حد قولها "بنت ناس" ولن تقوى على موت النفوس، الذي تعوَّدناه نحن. كانت تريني صور حبيبة التي كانت تضعها على فيسبوك، قبل أن تتعرف على إسماعيل، وصورها الآن بعد عدة شهور من حياتها معنا:

"شوف تحت عينيها بقى إسود إزاي! شوف وشها بقى دبلان ازاي! فاكر أول ما عرفناها كانت بتتنطط وبتضحك

بصوت عالي، ودلوقتي يا دوب بتبتسم. شوف بقت مهزوزة وفقدت كل ثقة بالنفس ازاي! شفت المكان ده عمل فيها إيه!؟ خدها من هنا واهرب يا علي. الوطن هو أقرب الناس لينا، لو فقدناهم نبقى فعلًا فقدنا الوطن".

أقسم أن أعوِّضك يا حبيبة، أقسم أن أفرش لك حياة لم تكوني تحلمينها في أفضل تصوراتك ومخططاتك لنفسك. آخذ على نفسي هذا العهد الآن، لا يشهدُ علي سوى الله، وهذه الأوراق. وأقسم أن تنتهي آلامك في ڤيلا إسماعيل الصعيدي قريبًا جدًّا، أقرب مما تأملين.

إذا كانت استعادتي لعزة نفسي في عيون أخي الأصغر، هي ما دفعني لتحمل كل ما فات، فماذا يجب عليَّ أن أفعل لأستعيد عزة نفسي في عين حبيبتي!؟ حبيبتي التي زججتُ بها بنفسي إلى هذا المستنقع. هل كان الجيش الذي تهربتُ منه أسوأ مما أفعله بنفسي الآن؟ هل كان يحمل كل هذا الذل وكل هذه المهانة؟ وهل عندما تحتقرني حبيبة سأستعيد احترام أخي!؟ وجودي هنا يفقدني احترامي لرجولتي يا حبيبة، لن أقوَ على رؤية العتاب في عينيكِ، كنتُ أظنني آتي بكِ إلى أفضل مكانٍ في الدنيا. وكما أتيتُ بكِ إليه بيدي سأخرجك بيدي.

t.me/qurssan

محجوب (25 مارس)

أفكرُ وأنا أكتب هذه الصفحات في زوجتي وابنيَّ. تبًّا! هي لم تعد زوجتي بعد، ولكني لا أشعر لي بزوجة غيرها. لا سميرة ولا غيرها، احتلت مكانك في حياتي يا سامية. هؤلاء رفيقاتي، عشيقاتي، مُفرِغات نزواتي، لكن الزوجة أنتِ والسكن أنتِ والشريكة أنتِ، وما غير ذلك كذبة كبيرة كذبتها على نفسي.

ياسين ومحمد، هل سيسامحاني على ما تورطتُ فيه وورطت أمهما معي!؟

كنتُ أشعر أن إسماعيل يفعل شيئًا ما خفيًّا، لكنني لم أتخيل مُطلقًا أن الشيء الخفي هو الحقيقة كاملة، وأن ما نعتبره نحن حقيقة ليس إلا فقاعة كبيرة، نعيش بداخلها جميعًا كل هذه السنوات.

حين سمع ماهر والد يارا اسم إسماعيل، أبدى انتباهًا كبيرًا، جعلني أستعرِض بفخر التدريبات السرية التي نقوم بها، والتي بمقتضاها يعيش أفراد المجموعة مع إسماعيل، والتي بمقتضاها أيضًا نقوم بتسليم مرتباتنا لسميرة، كي نصبح -مجتمعين- المسئولين عن نفقات البيت والمعيشة.

كان الرجل يسمع باهتمام أكثر من الذي أحكي به أنا، لم يقاطعني، ولم يسألني، ولكن شغف عينيه جعلني أسترسل، حكيتُ باستفاضة عما حدث منذ تعرفتُ إلى إسماعيل، حتى هذه اللحظة التي أجلس فيها إلى جواره. وضع الرجل يده على عينيه، وطأطأ رأسه إلى أسفل، وحين أخذ هذا الوضع وقتًا أكثر مما ينبغي، وضعتُ يدي على كتفه أسأله إن كان بخير. رفع يده من فوق عينيه ونظر إلي، ثم انفجر ضاحكًا، تعلو ضحكته تدريجيًا حتى اعتدل في جلسته، ثم هبَّ واقفًا وهو ما زال مستمرًا في الضحك. يلف حول المنضدة التي جلسنا حولها، وهو يضحك ويُصفِّق بيديه انبهارًا من شيء ما. وعندما بدأتُ أتململ وأتبعه بعيني رواحًا ومجيئًا، توقف أمامي مباشرة وقال بثقة:

- براڤو. حقيقي براڤو.

- اعذرني يا ماهر بيه. مش فاهم!

- إسماعيل عبد القادر الصعيدي، براڤو عليه، لسه فيه نَفَس ولسه بيلعب، واحنا اللي فاكرينه اتهدّ واعتزل من زمان.

- أنا آسف. بردو مش فاهم يا ماهر بيه!

t.me/qurssan

- إسماعيل يا بني ده عِشرة العمر كله. بلادياتي وصديق طفولتي، أو يعني نِدّ طفولتي. كان لعب عيال وشقاوة أطفال بيتنافسوا على أي حاجة وكل حاجة، لكن أنا من قلبي مكنتش بكرهه، كنت بحب أناغشه بس، وأثبت إني أشطر منه، كنت عيل بردو وعايز يثبت رجولة. كبرنا سوا واشتغلنا في نفس الجهاز، لحد ما إسماعيل اتمسك في قضية رشوة، قضية كبيرة الجهاز كله اتكلم عنها، والفضيحة بقت بجلاجل لدرجة إن محدش قدر يغطي عليها. وتحريات الرشوة فتحت عليه فاتحة واسعة. من كسب غير مشروع لـ تحرُّش لـ استغلال سلطات. واترفد من الجهاز.

- اترفد؟ بس كده؟!

- ما هو يا بني أيام ما كان الجهاز في عزه، كان نادرًا لما ظابط يتحاكم، ما بالك بأمن الدولة! المهم، هو من ساعتها اختفى اختفاء مريب. ساب الأقصر ومحدش عرف راح فين ولا بيعمل إيه. واللي جه في الأذهان ساعتها، إنه مكتئب ومش عايز يظهر لحد ومكسوف من نفسه مثلًا. بس زمايله اللي كانوا مقربين منه وبيحاولوا يساعدوه، فضلوا يدوروا عليه لحد ما عرفوا إنه بيتعالج عند دكتور نفسي. كان مش قادر يستوعب إنه مبقاش ظابط يأمر وينهي ويتحكّم، عشان كده ساب البلد قبل ما يتعرف وسط الناس إنه اترفد.

لم أتفوَّه بكلمة ولم أقاطعه كما لم يقاطعني هو. لم أدرِ ماذا أفعل ولا ماذا أقول. تركتُ الرجل فجأة وانصرفتُ على

غير هدى. لم أستطع الذهاب إلى الڤيلا ولا حتى إلى الاستوديو، الأماكن كلها مغلقة أمامي، وأنا في حاجة إلى مكان مفتوح بقدر التفكير المفتوح، الذي لا أستطيع أن ألملم أطرافه. دارت أمامي السنوات الماضية؛ تدريبات الطاعة وتدريبات التلصص، والتخلي عن الهوية. هل كنتُ كل هذه السنوات أطيع مجنونًا!؟

t.me/qurssan

باسم (30 مارس)

أخيرًا سمح لي بزيارة خاطفة لأمي وأخواتي. بكيتُ لأول مرة في حضن أمي، حتى كاد نَفَسي يغيب وكدتُ أن "أسورق" كما تقول هذه السيدة البسيطة، التي "دفستُ" رأسي بين نهديها، مطمئنًا لأن أعطي ظهري للعالم وأنام. صدَّقتني حين ادعيتُ أن كل هذا البكاء، إنما هو نتيجة الافتقاد والاشتياق، نتيجة الوحدة التي أعيشُها في القاهرة بين المستشفى والشركة، فما كان منها إلا أن قدمت لي الحل المفيد من وجهة نظرها:

"اتجوز يا بني وشوفلك وليفة تدفي البيت وتقسم معاك حلوك ومُرّك. الجواز سُترة للراجل زي الست. وعروستك عندي".

تحايلتُ كثيرًا على مجالات الحوار بيننا، حتى استطعتُ أن أفاتحه في الأمر، لكنه يأتي دائمًا بعكس ما هو متوقعٌ منه. وافق إسماعيل على الزيجة، بل رحَّب بها. كنتُ أحجب الأمر

عـن فكـري، لأننـا منشـغلون دائمًـا في التدريبـات والعمـل داخـل القيـلا وخارجهـا، وظننـتُ أن هـذا التوقيـت أبعـد مـن أن يكـون مناسـبًا للـزواج. لكننـي وجـدت نفـسي تميـل، وقلبـي يتهفهـف وتتسـارع دقاتـه كلـما فكـرتُ في الأمـر. فالمـرء أحيانًـا لا يشـعر بالجـوع، إلا إذا رأى المائـدة أمامـه، أو إذا قـدم لـه أحدهـم الطعـام.

مـرت طقـوس الخطبـة سريعًـا، شروق، ابنـة العمـدة السـابق الـذي كان صديقًـا لوالـدي، رغـم الفـارق الاجتماعـي بينهـما. الحقيقـة أن سـيرة والـداي الطيبـة جعلتهـما مقربـين مـن معظـم الأسر في البلـدة. تسـاهل معـي الرجـل احترامًـا لأبي وأمـي، ولم يطلب كثيرًا مـما يجـب عـلى العريـس تجـاه عروسـه، حتـى الشـقة الملائمة التـي وعدتـه أن أؤجرهـا لابنتـه، لتعيـش معـي في القاهـرة، لم يضـع لهـا شروطًـا لا في المـكان ولا المسـاحة ولا أي شيء. وكانـت هـذه بدايـة جديـدة للخـلاف مـع إسـماعيل.

بـدا مذهـولًا حـين قلـتُ لـه، إننـي عـثرتُ عـلى شـقة مناسـبة في أحـد الأحيـاء القريبـة مـن القيـلا، بيـد أن راتبـي بالـكاد يتسـع لإيجارهـا. جحظـت عينـاه وتـرك الملعقـة مـن يـده، ونظـر إلى سـميرة التـي تجلـس إلى السـفرة دائمًـا إلى يمينـه، ومحجـوب الـذي يليهـا، فلـم يُعلِّقـا بحـرف.

- إنـت مـش هتجيـب مَرَتـك تعيـش هنـا في القيـلا؟ أنـا قلـت لمحجـوب يشـوف نقَّـاش يدهنلكـم أوضـة مـن الأوض الفاضيـة دهـان عرايـس، وهننـزل نجيبلـك أوضـة نـوم، وخـلاص كـده نفضهـا سـيرة. وكـمان تدريـب فوزيـة هتعملـه إمتـى يـا بيـه

t.me/qurssan

لما تسكن برّه؟ التدريب لسه مخلصش وفوزية لازم تفضل قدامي طول الوقت.

- طب وأهل العروسة هييجوا يزوروها هنا ازاي حضرتك؟

- أهلها؟ هو احنا عندنا حد ليه أهل؟ ما هي ناديا أهيه متجوزة ولا ليها أهل بياجوا ولا بيروحوا. هي تقطع مع أهلها بالراحة كده، بلا دوشة وزيارات وقرف. إنتو تعيشوا معانا هنا وأهي تعرف حياتنا واحدة واحدة وتبقى فرد مننا.

تركتُ الملعقة من يدي، ووقفتُ مُمهدًا لأن أنصرف:

- أنا آسف حضرتك مش هينفع. هي بت وحيدة وسط 4 صبيان وعمرها ما خرجت بره البلد. أهلها مش هيفوتوا أسبوع من غير ما يبعتوا حد من اخواتها يطمن عليها، على الأقل في الأول. وكمان أنا مستعد أعرض نفسي للخطر لكن مراتي لأ. ومش عايزها تبقى واحدة من المجموعة.

- إنت ماتستاهلش اللي بعمله عشانك يا فوزية. محدش فيكو يستاهل خوفي وحرقة أعصابي عشانكو، قبر يلمكم كلكم، إنتو زبالة الزبالة ومفيكمش راجل. كلكو أقل من المكانة اللي حطيتكو فيها واخترتكو عشانها. غور اعمل اللي تعمله يا واطي. قال مراتك قال يا شريف يا أبو شرف، دي تلاقيها مشيت مع رجالة بلدكو كلهم، وكل راجل كَلْ منها حتة، وفي الآخر هيلبسوهالك يا شرابة الخُرج. غور من وشي جاتك القرف.

كانت فرائصي ترتعد، وأنا أجلس في غرفتي التي أقتسمُها مع علي. أصبح لا يكف عن التفكير في حبيبة. حاستي السادسة تحدثني بذلك. أنا أيضًا أفكرُ بها وأحمل همَّها، ستأخذ وقتها في التدليل، ثم ستجد نفسها تكنس وتمسح، وربما تنام جائعة على أرضية المطبخ في بعض الأحيان، كما تقتضي الأوامر. وحين يثقل الأمر عليها لن تستطيع الفكاك، رغم كل ما سينالها من أذى. هل ستكونين أنتِ الشجاعة التي لا يخيفها أن لها ملفًّا في أمن الدولة، يحمل اسمها كاملًا وتفاصيل حياتها!؟ أم ستكونين أنتِ الغنية التي تتنازل عما يعدنا به إسماعيل من أموال قادمة، وشرف ومجد وشهرة وسُلطة وعلاقات واسعة المدى!؟ لن تكونين هذا ولا ذلك يا حبيبة. ليس في هذه الثيلا من هو شجاع ولا غنيّ. الكل هنا يتسمون بصفة واحدة فقط، مسحت ما عداها من صفات قديمة، نحن أفراد المجموعة أ، نتسمُ بأي صفة تجلعنا نحافظ على هذه المكانة: مكانة الانتماء إلى المجموعة أ.

لم يتحدث إليَّ إسماعيل منذ ثلاثة أسابيع. أرتب وحدي إجراءات الفرح البسيط الذي سأقيمه في البلد، حتى أدخل بعروسي وسط عائلتها "ليتشرفوا بابنتهم" كما قالت حماتي. وحين اكتشفتُ أن ما معي من أموال لن يسعفني لإتمام التفاصيل الكثيرة، طلبتُ من سميرة أن تتوسط بيننا، كي أطلبُ من إسماعيل سُلفة، قرض. كنتُ أظن أن لي دلالًا عليه بما دفعتُه من راتبي في الفترة الماضية، لكنه رفض! أو بالأحرى تملَّص، لأن المجموعة لا تمتلك سيولة الآن. هل محجوب بالأفلام

t.me/qurssan

التي يصورها ليلًا ونهارًا لا يمتلك سيولة؟ وعلي وحبيبة؟ ناهيك من سميرة!

الوحيدة التي لم أفهم موقفها من زواجي، سميرة، ما إن تحدد موعد زفافي وأخبرتُ به أفراد المجموعة، حتى انتابتها حالة بكاء وصراخ لم يفهمها أحد:

"بقى أنا أعلِّم وأنضِّف وأشيل الجلخ ويجوا الستات ياخدوكوا على الجاااااهز. أنا مش موافقة على الجوازة دي أبدًا. باسم ده بتاعي، أنا اللي علِّمته كل حاجة بتتعمل إزاي، أنا اللي وقفت جنبه من ساعة ما دخل المجموعة، أنا مصدِّقة إنه فعلًا ابني، حتى لما بدأ تدريب فوزية اعتبرته بنتي. أنا مش هسيبها تاخده على الجاهز كده، فاهمين كلكو ولا لأ. ليه كل حاجة بتاعتي تتاخد مني بسهولة كده؟ ده حرام حراااااااام".

كانت تصرخ وتقطع الصالة ذهابًا وإيابًا، و"تهلفط" بهذا الكلام الغريب، لم تخشَ أن يسمعها إسماعيل أو محجوب. ورغم إعلانها أنها ستقف دون إتمام الزواج، إلا إنني أشفقتُ عليها وصدَّقتُ دموعها، بل بكيتُ في حضنها محاولًا أن أهدئ روعها، وأعدُها بأنني لن أتركها أو أبتعد عنها بعد الزواج. ولكن ما كان يشغل عقلي حقًّا، كان كيفية الحصول على الأموال التي تنقصني لتدبير شئوني.

لم أجد بُدًّا من تحسين دخلي، إلا بترك شركة الأدوية والبحث عن عمل آخر، يكون أكثر ربحًا، دون أن يعلم إسماعيل عن ذلك شيئًا، كي لا يسطو على هذا "الأكثر" لصالح المجموعة. واحدٌ فقط هو من يستطيع مساعدتي وإلحاقي بأي مكان، محجوب.

t.me/qurssan

سميرة (2 إبريل)

لم يعد التنظيف يُجدي مع هؤلاء الأوساخ. أشم روائح عَرَقهم طوال الوقت، حتى إذا جلستُ في الثيلا وحدي ليس معي إلا إسماعيل. لا أستطيع الحياة في هذا المكان الوَسِخ، لا أستطيع التنفس.

يتحاشونني كلهم حتى إسماعيل، خاصة بعد أن أخذ أموال القرض. بعدما بدأتُ تأسيس الشركة احتاج إسماعيل أن يُرسل القرض إلى البلد، كي ينجز به مهمة مؤجلة، ولم أرَ أموالي بعد ذلك، وأظنني لن أراها ثانية. ولكنه ليس ميراثًا أو راتبًا شهريًّا كسابقيه، هذا قرض، ديون، مواعيد، سداد، حجز، سجن! سجن؟ بالطبع لا. إسماعيل لن يتركني أصل إلى تلك النقطة البعيدة، أنا لم أثق بشخص في حياتي كما أثق به، ولم أتفانَ لأجل شخص كما تفانيتُ في خدمة مجموعته هذه، هؤلاء الصغار المتكبرين بلا

داعٍ. أنا لن أبرح هذه الڤيلا ولا هؤلاء الأوساخ، قبل أن أسترد أموالي يا إسماعيل.

كانت أمي تقول "العين متكرهش إلا الأحسن منها"، ألهذا لا تطيقني حبيبة ونادية وعلي أيضًا؟ ألهذا تتسلل كلٌّ من الفتاتين وتختليان ببعضهما البعض، وتتبادلان الكتب والأفلام وتتناوبان على رعاية مريم؟ تعيشان معًا كعصفورتين في قفص، بينما تبتعدان عن البومة الكبيرة التي تراقب قفصهما الصغير. كنتُ أسمع تمثيلية البكاء التي تؤديها حبيبة في غرفتها كل ليلة، حين كنتُ أعبر عامدة من أمام الباب أو أجلسُ في الحديقة تحت شباكها. أعرف أنها كانت تعلو بصوت البكاء كي تستميل الجميع؛ علي ونادية وباسم ومحجوب أيضًا، محجوب الذي يسميها علنًا جميلة جميلات الڤيلا. لا أعرف أين هذا الجمال فيها!

أفهم نوايا هذا النوع من النساء الحَرَابي، تتلون لما يتجه له مؤشر الجو. إذا كان إسماعيل غاضبًا عليها، تبكي دائمًا وتولول حتى تكسب تعاطف الجميع، وإذا كان راضيًا عنها متوددًا إليها، برزت أنيابها وتعجرفت. لكنه الآن أوقفها عند حدِّها بعد العقاب الأخير، أصبحت تسير في الڤيلا مطأطئة كسيرة وذليلة، عكس ما كانت عليه حين بلانا بها علي، تسير على الأرض كأن قدميها تنغرس في السحاب.

هذه الفتاة الرخيصة، ألا يكفيها أن عينيها تكاد تتكلم بحبها لعلي، بينما هو بالكاد ينظرُ في وجهها؟! ومعه كل الحق في ذلك. هي ليست جميلة على الإطلاق، ولقد حاولتُ مرارًا

t.me/qurssan

أن ألفتها إلى ضرورة الاهتمام بمظهرها. شعرها على طوله هذا، سيئ الرائحة دائمًا، وجلدها خَشِن وأظافرها طويلة. أنا لا أعيب فيها خلقة الله، فلقد خلق بيديه كل شيء كاملًا ومثاليًّا، ونحن الذين إما ننتقص من هذا الكمال، وإما نحافظ عليه ونزيده.

أعرفُ أن إسماعيل يريد أن يزوِّجها علي، كي يضمن ولاءها الدائم له، لكنها غير مناسبة له على الإطلاق، وإلا فلماذا يجلس معي أنا ويقول لي عن تطوراته في التدريبات، ولا أكاد ألمحه يطيق الجلوس إليها؟ هذه الفتاة اللعوب لن تترك الفتى إلا إذا أوقعته في حبال الزواج، وبالطبع سيرحب إسماعيل، لكن إذا حدث ذلك، فلن تتسع هذه الڤيلا لقيادة أنثيين. إما أنا وإما هي، وبالطبع لن تكون هي!

أنا لن أنسحب من كل معارك حياتي بهذه السهولة. كنتُ أتقهقر أمام جبروت أمي وتدخلاتها اللعينة في حياتي، أتقهقر أمام بكاء أختي الصغيرة، التي كانت تحلو لها ألعابي وأشيائي لتسرقها مني، ورغم ذلك كانت السمراء الجميلة أم غمازتين ودم خفيف وضحكة عالية، يرجو الجميع أن يلاعبوها ويتوددوا إليها، بينما أنا العاقلة الراسية التي يجب أن تتنازل عن أي شيء وكل شيء، أمام دموع التمساحة الصغيرة.

حتى معركتي أمام سيد، انسحبتُ منها بكل خزي وضعف. لماذا لم أقف أمامه وأمام الناس أقول لهم "أيوة أنا كنت مصاحبة واحد تاني وأنا متجوزاك"؟ لماذا لم أواجهه بكل هذا الانبطاح والانكسار في شخصيته؟ لماذا لم أقل له إن رائحة أنفاسه أثناء النوم توقظني، وأنه بالتأكيد لا يغسل أسنانه؟

لماذا لا أقول له إن ملمس جلده يجعلني أقشعر من شكله وملمسه؟ حتى دموعه أمامي حين رجاني ألا ننفصل كي نحافظ على "نور"، كانت دموعًا كسيرة هزيلة لا يمكن أن تكون لرجل؟ ورغم ذلك لم يكررها ذلك الحيوان مرة أخرى كما لو كان "ما صدَّق" أن تمسَّكتُ بالانفصال، وقال لنفسه "أهي جت منها". كيف كنتُ آمن أن أستكمل حياتي مع هذا الخائن المُتخَلِّي!؟

t.me/qurssan

باسم (6 إبريل)

أسدى لي محجوب هذا الجميل، جعلني مساعدًا له في مواقع التصوير. أحمل المعدات والكاميرات وأحمل حقيبته الشخصية. بالطبع لم يعلم إسماعيل شيئًا عن ذلك، وإلا طالبني براتبي كله، بينما أنا كنتُ أدفع راتب شركة الأدوية، وأحتفظ بالفرق لنفسي. لم يهتم إسماعيل أن يترك لي ما أشتري به أثاث الزوجية, أو حتى ملابسي الشخصية، وكأنه "ما صدق" أن والد خطيبتي سيتكفل بكل شيء.

سعادتي في يوم الفرح لم تكن لتوصف. "شروق" بسيطة الطلَّة، لكنها تخطف القلب، حتى وإن لم تخطف العين بجمال لافت. أمي تحتفي بي بطريقتها، وبشكل يعوِّضها عن حرمانها مني في السنوات السابقة، أخواتي يزغردن ويرقصن بقلوبهن

قبل أجسادهن، العالم كان طوع بناني ذلك اليوم. لا إسماعيل ولا غيره استطاع أن يؤرق الفرحة.

قضينا ليلة زواجنا الأولى في بيت أمي، التي أحاطتني بنظرات أفهمها جيدًا، قبل أن تخرج من الغرفة وتغلق الباب خلفها. كنتُ أعلم أنها وأخواتي وأم "شروق" تترقبن خبرًا هامًّا في الصباح. ربما هذا ما جعلني غير مؤهَّل لهذا الفعل، وأنا مُراقَب ومُحاط بكل تلك العقول التي تحاصرني طوال الليل، وتنتظر ما أفعله. بالطبع أنا لم أخفق، فأنا لم أحاول من الأساس لأتبيَّن نجاحًا من فشل، لكنني أكره المراقبة، وقررتُ ألا يحدث ذلك إلا في مصر، في شقتنا الصغيرة التي لا تخترقها تلك العيون.

ما إن علم إسماعيل بعودتي من البلد، حتى اتصل بي مهنئًا ومُخترقًا حياتي بذلك السؤال المباشر الفج:

- عملت إيه مع مَرَتك؟ خلَّصتْ؟

- نعم؟

- خلاااااص ولا لسه؟

- لا حضرتك... لسه... أصل...

- طب بس بس مش عايز أعرف في التليفون، لما تاجي نتكلم، يمكن محتاج مساعدة ولا حاجة.

لماذا جاوبتُه بهذه السهولة؟ لماذا لم أخفِ عنه الأمر؟ هل كان سيذهب يومًا إلى زوجتي ليسألها؟ لماذا أرتجفتُ أمام صوته ونبراته بهذا الشكل!؟ كنتُ مهتمًّا لأن أنفي تلك الصورة

t.me/qurssan

غـير الصحيحـة التـي أخذهـا عنـي، فذهبـتُ إلى الڤيـلا مسـاء نفـس يـوم المكالمـة. فتحـت لي سـميرة البـاب وفي عينيهـا نظـرات متفحِّصـة، وشـبح الابتسـامة الميتـة يظلـل شـفتيها كالعـادة، غـير أن جسـدها اختلـف جـدًّا خـلال الأسـابيع الماضيـة، وزنهـا يبـدو أقـل مـما تركتهـا عليـه بكثـير، وظـلال عيونهـا زرقـاء تميـل إلى السـواد. دخلـت سـميرة أمامـي إلى غرفـة إسـماعيل، وتبعتُهـا أنـا. نهضـت إليَّ ناديـا واحتضنتنـي وقبَّلـت وجنتـيَّ, كأنهـا هـي العروسـة، وإسـماعيل ينظـر إلينـا بسـخرية:

- تعـالي تعـالي. مانـا قلتلكـو الـلي فيهـا، بتباركيلـه عـلى إيـه!؟ قـال بعـد الغيبـة راجـع بالخيبـة. ده عايزلـه زفـة بحالهـا مـش مباركـة كـده عـلى المـاشي.

ارتبكـت ناديـا وربَّتـت عـلى كتفـي بهـدوء: معلـش كل ده بيحصـل في الأول عـادي جـدًّا. مـبروك يـا عريـس ولا يهمـك.

بينـما أمسـكت سـميرة كُـم القميـص الـذي أرتديـه، لتتفحصـه وقرَّبـت أنفهـا مـن ذراعـي تتشـمم رائحتـي كالكلـب، ثـم أبـدت اشـمئزازًا لا يخلـو مـن شـماتة:

"يعنـي كل الفلـوس الـلي اتصرفـت عليـك دي عشـان تعمـل حاجـة سـهلة وببـلاش كـده، وكل الرجالـة بتعملهـا، وفي الآخـر تبقـى خيبتـك السـبت والحـد والخميـس كـمان؟ تطلـع أخـت العروسـة؟ عـلى فكـرة المـدام مبتهتمـش بنضافتـك زي مانـا كنـت بعمـل، مقالتلكـش تاخـد دش قبـل مـا تنـزل؟".

كيف جرؤ على أن يحكي لهن أسراري الشخصية!؟ كيف جرؤ على الحديث عن علاقتي بزوجتي مع... مع مَن يا ترى؟ هل حكى لسميرة ونادية فقط أم للجميع؟ انسحبتُ من الغرفة فورًا تاركًا نادية ورائي تناديني وتجري خلفي لتلحق بي، بينما لم يتحرك هو من مكانه.

عدتُ إلى البيت وكأن كلبًا أسود يجري في دمي، ويلهث بلساني وينفجر غيظًا بقلبي، أطفأت ذلك الغضب في جسد شروق، وبينما هي تتألم وتصرخ، كنتُ أرى انتصاري على إسماعيل أمام عيني.

t.me/qurssan

سامية (25 إبريل)

أصبح محجوب شبه دائم الإقامة معنا في البيت. في البداية كان "يتلكك" برؤية الأولاد، ثم بأنه مريض ويحتاج إلى أن يطمئن على نفسه بجوارهم، وحينما لم أصدق كل هذه الحِجج والمبررات، وطالبته بالانصراف بهدوء، جلس أمامي على ركبتيه يبكي كالأطفال، ويطلبُ حمايتي. يطلبُ أن يظل بيننا، حتى يجد لنفسه مخرجًا من الكارثة التي أوقع نفسه فيها.

لا أثقُ عادة في روايات محجوب وزاوية رؤيته للأمور، عيناه وعقله ليسا بدقة الكاميرات التي يستخدمها في التصوير، وتفكيره أصبح خاضعًا طوال الوقت لأساليب الخِدع والمؤثرات، ومؤخرًا نظرية المؤامرة. زجاجات الخمر لا تفارقه، وهو ما كنا نتعارك بسببه قبل الطلاق، لا أعرف كيف يحتمل رؤية نظرات الريبة والخوف في عيني أولاده، وهو على هذه الحال. أحاديثه الأخيرة

غير المتناسقة عن إسماعيل، جعلتني أفكر في ذلك الرجل منذ معرفتنا به قبل سنوات.

رجلٌ يحب أن يحاط بإعجاب الآخرين. يكره أن يبدو جاهلًا في أي مجالٍ أيًّا كان هذا المجال، حتى إن كان بعيدًا عن محيطه. كان يقرأ في السينما كي يتفلسف بقراءاته على محجوب، كان يقرأ في الصحافة والإعلام ما يناقش به علي، ويصحح له آراءه بل و"يفتي" فيما لا يعلم، ويدافع عن أنصاف النظريات التي يكوِّنها بشراسة وضراوة. وبالطبع لا تجرؤ ناديا على التحدث عن الأدب في حضوره. حتى في الطب، كان يترجم أبحاثًا منشورة على الإنترنت بلغات مختلفة، حتى يبدو مثقفًا أمام باسم في مجاله، ويتعمد أن يستعرض تلك الآراء التي عليها خلاف بين الأطباء، حتى يبدو مُلمًّا بما قد يغفله باسم.

أحاول أن أعصر ذاكرتي، كي أسترجع أي دليل مادي على كونه ضابطًا في أمن الدولة. هل رأينا له أي أمارة من هذا الجهاز!؟ هل رأينا له أي "كارنيه" حديث أو ما شابه!؟ أنا لا أدافع عنه بالطبع، لكنني أحاول أن أجد لمحجوب مخرجًا من الاتهام بالغباء والخداع، الذي يتهم به نفسه الآن. أكاد أراه بعينيه الآن. أعرف أنه لن يتحمل هذه الحقيقة الهزلية، حقيقة أنه خسر كل شيء لأجل اللاشيء. خسر بيته وأولاده، تزوج امرأة لا يشعر معها بسعادة، خسر حريته وأصبح يعيش فردًا، في رقعة شطرنج يملكها مجنون، ويحرك جنودها كيفما شاء. والأدهى من ذلك أنه قَتَلَ، حتى وإن لم يكن بإيعاز من إسماعيل، لكنه عاش في كنف رجل متجبرٍ، فلِمَ لا يتجبر هو الآخر؟

t.me/qurssan

لا أعرف هل أفكر معه في الخروج من كنف هذا الرجل، أم أتركه يتحمل مسئولية ما أوقع نفسه به، ولو لمرة واحدة في حياته؟ هل أخدع نفسي بأن أتحدى ذكاء إسماعيل، فأقع أنا أيضًا في الفخ؟ أم أنني أكثر قدرة على رؤية الأمور من الزاوية البعيدة، الزاوية الأوضح؟ ليس الأمر بهذه السهولة يا محجوب. أولادي فقدوا أبيهم ويعيشون الآن على ذكرى أب، فهل أدعهم يفقدون أمهم أيضًا في رحلة إنقاذ مزعومة للأب!؟

t.me/qurssan

ناديا (27 مايو)

ربما تكون هذه هي الصفحة الأخيرة في مذكراتي. فما حدث اليوم لا ينبئ بأنني سأستمر على قيد الحياة كثيرًا في هذا البيت. مريم مريضة منذ أسبوع، ولا تنام طوال الليل من البكاء والصراخ، بالطبع أسهر أنا وحدي معها، والسيد أبوها يغط في النوم في غرفته. لا تنزل حرارتها المرتفعة قبل الثامنة صباحًا، بعد أن تكون قد استنفدت طاقتي كاملة خلال الليل. أنام معها في الثامنة، وأستيقظ بالكاد حوالي الثالثة عصرًا. أسبوعٌ مرَّ وأنا على هذه الحال، حتى أرسل إسماعيل سميرة لتوقظني اليوم، وتخبرني أنه بانتظاري في مكتبه لأمرٍ هام.

- كل ده نوم يا هانم وسايبة البيت يضرب يقلب؟

- مانا كنت هقوم أنضف بس مقدرتش والله تعبانة من السهر و...

- وعلى كده بقى أكلتي آخر مرة إمتى يا هانم ياللي بترضعي؟
- الساعة 3 الفجر تقريبًا أكلت سندويتشين كده.
- إنتي أم مهملة وغبية ومتستحقيش نعمة البنت اللي ربنا إداهالك. إنتي وسخة بنت أوساخ، ومحدش في أهلك محترم علِّمك معنى المسئولية.

لكمني بقبضته الكبيرة في كتفي، حتى اصطدمتُ بالحائط، ثم جذبني من شعري وطرحني أرضًا، ركلني طويلًا، حتى جاءت سميرة تجري على صوت صراخي، وجذبتني من تحت قدميه. استندتُ إلى يديها ووقفت، فجذبني من يدي إلى ناحيته: "روحي هاتي البت يا سميرة وملِّي للهانم هدومها وارميها بره، مش هتشوف بنتها تاني لحد ما تتعلم تشيل المسئولية".

جذبتُ ذراعي من يده بقوة وجريت إلى غرفتي، أخذت ابنتي في حضني وجريت ناحية باب الغرفة، قابلتُ سميرة أمام الباب، فدرتُ إلى الخلف وجلست في ركن الغرفة، أضم مريم إلى حضني وصرختُ في سميرة: "إللي هيقرب من بنتي هقتله. أقسم بالله هقتله. ابعدوا عن بنتي يا كلاب محدش هياخدها من حضني"!

كانت تحاول الاقتراب مني لتضع يدها على كتفي، وكلما اقتربت، صرخت فيها وهممت بعضِّ أصابعها، حتى خرجت وأغلقت الباب خلفها.

t.me/qurssan

سمعتُه يعوي وينعق أمام الغرفة ويهدد ويتوعد. أمر سميرة أن تفعل معي ما فعلت مع باسم، وقت أن عوقب بأكل الجبن عنوة. أمرها أن تأتي إلى غرفتي كل ساعة، تحمل لي صينية طعام، وأن تطعمني إياه بالقوة إن لم آكل باللين، وإلا جاءني هو بنفسه وأنا أعرف البقية! وأمر أفراد المجموعة ألا يأتون لمواساتي أو لزيارتي في غرفتي أبدًا، حتى أتعلم الأدب وتحمل المسئوليات التي تُلقى علي.

مرَّ اليوم كأصعب ما يكون، كنتُ أتجرع الطعام كل ساعة بالضبط، تمتلئ معدتي عن آخرها، وتظل سميرة "تزغطني كدكر البط" حتى أتقيأ ما أكلتُ وأفرغُ ما في بطني تمامًا، ثم ألتهم الجديد. سمعتُها تخرج إليه وترجوه بصدق، ليرفع عني العقاب، فكثرة الأكل والتقيؤ ستقتلني، وكان يقول: "محدش بيموت من كتر الأكل. خلي بطنها النونو توسع وتشيل".

وحين جاء علي من عمله، وعلم بما حدث، انتظر حتى نام الجميع، وتسلل إلى غرفتي يواسيني. ولكن يبدو أنه لم يتأكد من نوم إسماعيل. فتح الغول غرفتي فجأة، ورآني أحكي لعلي ما حدث وأبكي بحرقة. انقضَّ على علي وسحبه من قفاه إلى غرفته، وظل يوبخه حتى أيقظ الجميع. لم أستطع أن أمنع نفسي من الذهاب خلفهما، ومراقبة ما يحدث من بعيد.

رفع إسماعيل علي من فوق الأرض، وألقاه على السرير كأنه يحمل طفلًا خفيف الوزن، ثم انهال عليه بنعله أمام الجميع وسبَّه بأمه. لا أعرف لماذا نقف جميعًا في مثل هذه المواقف مكتوفي الأيدي؟! لماذا لا نعترضه ونوقف هذه الإهانات؟ بعد أن

انتهى من "وصلة" الضرب، أمسك الوسادة التي فوق السرير، وألقاها أرضًا، ثم رأى تحتها "أچندة" سوداء وقلم. لن يمكنني أن أنسى نظرة إسماعيل، عندما نقَّل عينيه بين علي والأچندة، بينما يده تقلب الصفحات: "إنت بتكتب مذكرات يا حيوان؟".

t.me/qurssan

سيد يوسف (27 مايو)

أحيانًا يبدو الواقع أغرب وأكثر ألمًا من الخيال، وحينها لا تتسع عقولنا لمحاولات التنبؤ والتوقع. صدفة غريبة جمعتني بمحجوب زوج سميرة، في هذا اليوم تحديدًا، وكأنه كان على موعد معي، ولكن قطاره تعطَّل فأتى متأخرًا بضع ساعات. كان على موعد، لأنه كان يسأل عن والدة سميرة في هذا اليوم خاصة، وتأخر قطاره لأن أمها ماتت قبل مجيئه بساعات.

لم أكن قد نفضت ملابسي من غبار الدفن، حين رن جرس الباب ووجدته أمامي. كنتُ على وشك أن أنتقم منه، لكل ما حدث لي حتى اللحظة، ولكنه اقتحم المدخل، ووجدته داخل الشقة يقف مثني الظهر منبت الذقن غير مهذب الشعر.

- أنا عارف إني مش من أفضل 500 شخص تحب تشوفهم حتى صدفة، بس أنا محتاج مساعدتك. سميرة نفسها محتاجة مساعدتك.

- مساعدتي مش معروضة للبيع. اتفضل بره.

- أرجوك. فيه ناس هتضيع، مش ضياع فلوس ولا أهل. ناس هتموت لو مسمعتنيش، ودي في الأول وفي الآخر أم بنتك، والبنت محتاجالها.

- والله؟ هو حضرتك عارف إن سميرة لها بنت كانت محتاجالها في وقت من الأوقات.

- إسماعيل مجنون يا أستاذ.

- هاهاهاها، أستاذ!

- يا فندم أنا مش بهزر ولا بسخر من حضرتك. إحنا في مصيبة، كلنا في مصيبة ومحتاجين كل واحد حوالينا.

- آه قول كده بقى، إنت في مصيبة وبتتحامى في سميرة.

- إنت هتفصص في الكلام وتلاوع ولا هتسمعني وتنقذ أم بنتك؟

- انت كمان هتتنرفز؟ ده انا حقي أجيبلك البوليس.

- حقك عليا. أنا آسف. إحنا محتاجين مساعدة، محتاجين كل حد وأي حد قريب مننا أو بعيد. أرجوك اسمعني.

- ولو معجبنيش الكلام؟

t.me/qurssan

- مش هاخد منك حقه. وأنا ماشي، ابقى ارميه في البحر.

أشرتُ إليه بالجلوس، لا بدافع الاهتمام بما سيقول، إنما هو الفضول والرغبة في التشفي في سميرة، ومعرفة ما وصل إليه حالها المزري، مقارنة بحالي وحال نور والمرحومة أمها. أريد أن أسمع الكوارث التي أوقعت نفسها بها، وأتخيل دموعها تنهال على وجنتيها. عساي أروي بتلك الدموع ظمأ آلامي وسهري وحبي الذبيح.

عندما كنتُ صغيرًا، كنت أحب مشاهدة أفلام السهرة في حضن أمي، وكنتُ أسألها دائمًا: "ماما هو الراجل ده طيب ولا شرير؟".

كان الناس في نظري إما طيبون وإما أشرار. ولكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك. هم في الحقيقة خليطٌ بين هذا وذاك، خليط يضعنا في حيرة حقيقية، حين نحكم عليهم أو حين نكوِّن ردود أفعال تجاههم. يكون الأمر في أسوأ حالاته، عندما تنتقم من أحدهم -من وجهه الشرير- فيتصدَّر لك وجهه الطيب المنكسر. وحينئذ إمَّا تتراجع وإما تعيش بتأنيب الضمير، رغم أنك تأخذ حقًّا مسلوبًا، ولم تتجنَّ من البداية. ليس هناك قرار سيجعلني أندم، أكثر مما ندمت على زواجي من سميرة من الأساس. هل ستسوؤني الموافقة على مساعدتهما؟ هل سأندم على تفويت فرصة الانتقام منهما!؟ لا أعرف إلى أي قرارٍ سأصل يا محجوب. فلتقضِ الأيام بيننا.

t.me/qurssan

سميرة (28 مايو)

إسماعيل كالثور الهائج، يفتش كل ثقب في البيت، بعدما علم أن علي يكتب مذكراته. أخذ الأجندة وجلس في غرفته حتى الصباح، ثم خرج يثور ويهيج. جلس فوق علي وأوسعه ضربًا:

"إنت فاكر نفسك مين عشان تسجل كل التفاصيل دي يا حيوان؟ رأفت الهجان بيكتب مذكراته ياض ولا إيه؟ ده إنت حتة موظف لا روحت ولا جيت، ولا ليك أهل يسألوا عنك. كلكو شوية عيال لميتهم ونضفتهم وعملت منهم بني آدمين. شوية مرتزقة لا ليكو أصل ولا ليكو بلد ولا عيلة. أنا هربيكم يا كلاب، وهكتب عنكم تقارير زي وشكو، وهنشوف يا "أ" أنا ولا انتو، وخليكوا ماشيين بدماغكو بقى".

أمرني أن أفتش غرف المنزل كلها غرفة غرفة، وأن آتيه بكل الأوراق التي أعثر عليها، بعد أن يخرج أفراد المجموعة كلٌّ إلى عمله. أصبحتُ وحدي معه في الڤيلا ومعنا بربنط الذي لا "بيشيل ولا بيحط".

كلما أنظر إلى ذراعي أو إلى كفوف يدي، أرى نقاط العرق تتراقص على جلدي وعلى خدي وجبهتي. أشعر أنني بحاجة إلى الاستحمام، لا أقوى على التركيز والعرق يتصبب مني بهذا الشكل. الجو ليس حارًّا إلى هذه الدرجة، لكن وجودي داخل غرفة ناديا يُشعرني بالتوتر والاشمئزاز. لحسن حظها أن والدها توفي في صباح هذا اليوم الغائم العاصف. اتصلت بها والدتُها وهي تصرخ وتولول. رأيتُها وأنا أجلس على الأرض أمام غرفة إسماعيل، أنتظره أن يستيقظ لأطمئن عليه، فأنا لم أسمع له صوتًا بعد صدمته في علي في المساء. خَرَجَتْ ناديا من غرفتها تجري نحو غرفته، تضع الموبايل على أذنها اليمنى، وتخبط الباب بيدها اليسرى بقوة وتتابع. خرج إسماعيل من الغرفة يمسك الأچندة في يده، تطل من عينيه شرارة النار، وترتسم على وجهه ملائكة العذاب. بكت ناديا ما إن رأته:

- أبويا مات يا إسماعيل، جتله جلطة بالليل ومات دلوقتي في المستشفى. تعالى ودِيني المستشفى بسرعة.

أشار إليها بيده غير مهتمٍ: "غوري لوحدك أنا مش فاضيلك".

ثم عاد إلى الغرفة وأغلق الباب في وجهها. تسمَّرت ناديا لحظات تُنقِّل عينيها بيني وبين الباب المغلق. الخذلان

t.me/qurssan

والإحباط يغلفانها من شعرها الأحمر الهائج، حتى قدميها البيضاء الناعمة ذات "المانيكير النبيتي". جرَت إلى غرفتها، وارتدت فستانًا أسود في أقل من دقيقة، وحملت مريم النائمة من سريرها، وجرت إلى باب الڤيلا، ومنه إلى الشارع. كيف ستسير المجنونة بابنتها على كتفها، في هذا الوقت الخالي من المارة إلا من قليل؟

لم أكن قد بدأتُ في تفتيش الغرف بعدُ، فقررتُ أن تكون هي الأولى. طالما ذكَّرتني غرفتها بكتاب ألف ليلة وليلة؛ المفارش المزخرفة المرصعة باللآلئ الفضية، مُعلَّقة على الحوائط، المبخرة الكهربائية لا تخلو من الفحم ورائحة البخور الهادئ، المسبحة مُعلَّقة في الجانب الأيمن من خشب السرير، فوق رأسها تمامًا عندما تنام. "الأباچورات" الصغيرة على شكل مصباح علاء الدين، وأشكال القناديل القديمة مرصوصة بعناية في أركان الغرفة، وتتداخل أنوارها الملونة فتضيف حالة من السحر. هذه الفتاة لا ريب ساحرة، وإلا لما سيطرت على إسماعيل إلى هذه الدرجة حتى "بلفته" وتزوجته!

دولاب ملابسها غير مُرتَّب على الإطلاق، الفساتين الملوَّنة المزركشة عطنة الرائحة، ملقاة هنا وهناك. لا توجد "فردة" من أحذيتها تجاور أختها، فردة في أرضية الدولاب وأخرى في البلكونة. زجاجات عطورها تصطف على الرف الأيمن بالدولاب، فتفوح الرائحة على كل ملابسها وملابس ابنتها المسخوطة. كل هذا الرف الكبير وتشتكي أن ابنتها ليس لديها ما يكفي! ماذا ستحتاج رضيعة بنت سَنَة واحدة أكثر من رفٍ واحدٍ كهذا!؟

وبالطبع لن تحتاج الرضيعة إلى أن تخبئ تحت ملابسها هذه الأجندة البيضاء الجميلة يا ناديا. يبدو أن إسماعيل حصل على أول ضحية.

يعجبني ذكاء إسماعيل وتنبؤاته، لكنه بالفعل لن يستطيع ممارسة هذا الذكاء فوق ذكائي، لن يجد لأجندتي أثرًا، لأنني لا أخبئها في غرفتي كالأغبياء الباقين. أنا أخبئها في غرفتك أنت يا إسماعيل. أسجل هذا الفصل الآن من أوراقي الخاصة، لأنتشي بكتابة انتصاري عليك وعلى الخرقاء التي اخترتها زوجتك لتنجب منها. أنتصر عليها وأضعها أمامك عارية باعترافاتها وكلماتها وخطها، وأنتصر عليك حين أكتب عنك وعن مجموعتك ما أريد، وأضع كلماتي حولك في الغرفة لتطالك طاقتها الخانقة، وأنت غارقٌ في أحلامك الإباحية.

t.me/qurssan

باسم (28 مايو)

مـن المفـترض أن أطـير فرحًـا بحمـل "شروق"، لكـن مـا قابلنـي بـه إسـماعيل مـن سـخرية سيخرسـني إلى الأبـد.

- أستاذ إسماعيل... باركلي، شروق حامل.
- حامل؟ من مين يا واد؟
- من مين يعني إيه؟ مني طبعًا.

الجـدل والتشـكيك في كل شيء هـو سياسـته المعهـودة. لا أحـد صـادق ولا أحـد أمـين ولا أحـد محـترم. الـكل خائـن، الـكل سـارق، الـكل كـذَّاب.

بعـد صمـت طويـل مـن جانبـي وثرثـرة كثـيرة مـن جانبـه، أمـر سـميرة أن تلملـم متعلقـات مريـم بعـد ولادتهـا، ملابسـها القديمـة التـي أصبحـت ملطخـة ببقـع الطعـام المعروفـة عـلى ملابـس

الأطفال. حمَّالة الأطفال والعربة الصغيرة، التي كانت ناديا تضع مريم فيها، و"البرونة" التي كانت تسقيها فيها الأعشاب واللبن.

- لأ دي خليها حضرتك، مينفعش طفل يشرب مكان طفل تاني.
- لأ خدها. مش لازم تشتري أي حاجة جديدة، هي فلوس على الأرض وخلاص. ولا انت تقرف تاخد حاجة بنتي؟
- العفو سعادتك.

أمرني إسماعيل أن أبيت الليلة في الڤيلا، كي يذهب أفراد المجموعة كلهم غدًا، إلى أهل ناديا لحضور العزاء. أعرفُ أنها مجرد حجة لإبعادي عن شروق، في اليوم الذي عرفتُ فيه أنها حامل، في اليوم الذي يجب أن نحتفل فيه ببذرة إنسان جديد، يجمعني بها إلى الأبد. لا أضمن إن عصيتُ له أمرًا، أن أُحرم منكما إلى الأبد يا شروق. ربما أخذني منكِ الليلة، لكنه لن يأخذ الأبد يا شروق، لن يأخذ الأبد. لن يأخذ العمر الذي ينتظرنا معًا وبيننا بذرتنا، نرعاها ونرويها بعيدًا عن المهمات والأجهزة الأمنية. أعرفُ أن بقائي في هذه المجموعة، أصبح أمرًا مستحيلًا، وأنها شهور وربما أيام، تفصل بيني وبين الحرية، بيني وبين أمي وأخواتي المسئولات مني، بيني وبين زوجتي وابني. سآخذ حريتي منك يا إسماعيل، ولن تعرف لي طريقًا قط.

t.me/qurssan

طالما نصحته ناديا أن يحسن معاملتي، خاصة في بداية زواجي، حينما كان يأمرني أن أجلس معه في الڤيلا طوال اليوم، وألا أعود إلى شروق إلا وقت النوم.

- حرام عليك يا إسماعيل، البت لسه عروسة ومن حقها تتمتع بجوزها ويتمتع بيها، هو لو مكنش العرسان يقضوا مع بعض طول الوقت، وهما لسه عرسان جُداد، أومال هيقعدوا مع بعض إمتى بس؟ سيبهم يلبوا احتياجاتهم الإنسانية.

- احتياجات إيه وإنسانية إيه يا هانم يا كاتبة؟ إنتي فاكرة إنه متجوز بني آدمة زيك ولا إيه؟ دي بهيمة ميهمهاش منه غير حاجتين: الأكل والنوم، وانتي طبعًا فاهمة قصدي. إنتي محتاجة واحد زيي يتكلم معاكي ويسايرِك، لكن هي عايزة واحد يحِشِّلها ويحبِّلها زي الجاموسة. اسألِيني أنا على الصنف ده، عارفهم كويس.

لم يسمع إلا صوته وأوامره، والآن ستعرف يا إسماعيل أنك ما سمعت غير الصدى.

t.me/qurssan

سامية (29 مايو)

يومها عاد محجوب ومعه سيد يوسف، زوج سميرة السابق. لقاءٌ غريب بين ثلاثة أشخاص لم يكونوا ليجتمعوا أبدًا. اختار محجوب هذا اليوم، ليضمن بقاء الأولاد خارج البيت لأطول وقت ممكن. أعاد محجوب كلامه كله عن إسماعيل، وكان ينظر إليَّ وإلى سيد بنفس المقدار، كأنه يحكي لكلينا التفاصيل لأول مرة. أثق أن محجوب يروي الأحداث، وهو ما زال فاقدًا للتركيز من أثر الصدمة، ولا يكاد يصدق ما يقول. هو في الأغلب نسي أنه حكى لي نفس تلك الأشياء، بنفس تلك اللهفة ورعشة الصوت وجحوظ العينين.

"إحنا محتاجين لكل بني آدم يعرف حدّ فينا، محتاجين أهل كل واحد مننا، صحابنا، قرايبنا. إحنا مش هنواجه إنسان عادي زيي وزيكم، إحنا هنواجه وحش. مينفعش واحد لوحده

يقوله إنه اكتشف الحقيقة، لازم نقولها له كلنا مع بعض في نَفَس واحد. عشان ميقدرش ينكر ولا يراوغ".

لم أكن لأوافق على الانتقال إلى الڤيلا، ولكن وافق سيد يوسف على أن يعلن رغبته في الانضمام إلى المجموعة. سيترك ابنته لدى عمَّتها، وسيذهب إلى إسماعيل بقدميه. لمن أترك أولادي أنا يا محجوب!؟ لماذا لا تقوى على مواجهة خصمك بمفردك رجلًا لرجل، فردًا لفرد، عقلًا لعقل، وذراعًا لذراع إذا اقتضى الأمر؟

ربما يمتلك سيد سببًا وجيهًا لأن يقترب من العرين، لينقذ أم ابنته. لكن أنا لِمَ أغامر بأولادي وأبوهم نفسه لا يترك أمامهم زجاجة الخمر من يده؟ هو يستدرجني لمؤازرته لا لشيء آخر. آزرتُك قبل سنوات يا محجوب، إلى متى سأظل أنا أدفع ثمن أخطائك وشطحاتك ونزواتك!؟ لكنني مع هذا سأذهب معك. سأذهب لأنتقم من حيوان كان ينهش جسدي بعينيه، وحينما حاول بيديه لم يجد من يردعه. سأذهب لأرى سميرة التي أصبحت كالغصن الذابل، على شجرة شائخة تساقطت أوراقها منذ زمن.

سأذهب معك لأمتع عيني بالهالات السوداء تحت عينيها، وسأطرب أذني بصوت بكائها المستمر، الذي يظهر في الليل كعفريتة قُتِلت، ويسمعها الناس تستدرج كل ليلة إنسيًّا جديدًا تقتله وتمتص دماءه. سأذهب لأرى في عينيها كرهها لمحجوب وكرهه لها، أرى تهدم قلعة الرمل التي طعناني لأجلها. قلعة

t.me/qurssan

الحب الموهومة التي فتتتها قطرات ماء وأعادتها إلى ذرات صغيرة، لا تُرى الواحدة منها بالعين، ولا تشعر بها لمسة الجلد.

سآتي لأجلك يا سميرة، لأقول لك إن التنازلات الرخيصة لا تتوقف، مهما توهم صاحبها أنه قادر على التوقف وقتما شاء. تنازلتِ عن زوجك ثم ابنتك، وتمسكتُ أنا. وها هي الدنيا تترامى أطرافها تحت كعب حذائي، حتى محجوب الذي ظننتِ أنه لك!

لا أعرف ما الذي قاله محجوب لإسماعيل ليقنعه بتجنيدنا -أنا وسيد- لكنني وجدتُ نفسي بكل سهولة أقبع في الڤيلا، لي غرفة سأنام فيها مع فتاة أبرز ما فيها لمعة عينيها، رغم الحزن القابع بهما، وطول شعرها. كانت تجلس فوق سريرٍ ذي ظهر ملوَّن كأسِرَّة الأطفال، تسندُ ظهرها إلى الوسائد، وتضم رجليها إلى صدرها، تضع ذقنها على ركبتيها، وأخالني رأيت دموعًا على خديها. لم تهتم لدخولي، فقط رفعت عينيها تجاه الباب ونظرت إليَّ بهدوء، ثم هزَّت رأسها وتمددت على السرير ووضعت الوسادة فوق رأسها.

توقعتُ استقبالًا أكثر نارية من سميرة، لكنها على ما يبدو مشغولة بأمرٍ ما. حتى وإن بدأتني سميرة بالمشاكسة وحركات النسوان، فأنا لن أستطيع أن أبادلها، فالضرب كما يقولون في الميِّت حرام. من هذه العفريتة التي استقبلتني!؟ هل هذه سميرة التي كان يحلف بأناقتها الناس؟ متى تخشَّب وجهها واسودَّ جلدها إلى هذا الحد؟ هذه امرأة لا تكفُّ عن البكاء، فأنا طالما بكيتُ وأعرفُ ذلك جيدًا. هذه العيون الذابلة باكية

دائمًا. هل تمرين باكتئاب يا سميرة؟ هل تتعاطين شيئًا يجعلك تبدين بهذا الشكل المقزز؟

· كنتُ أنوي أن ألقنك درسًا في الأنوثة لن تنسيه ما حييتِ، ولكن أيَّ درس ستستوعبين وأنتِ بهذا "التوهان"!؟ سأنتظرُ يا سميرة حتى تصبحي على قدر المنافسة والتحدي، وحتى حين... فلأترفق بخيال "المآتة" هذا الذي يحيا بداخلكِ.

t.me/qurssan

سيد يوسف (29 مايو 2017)

رأيتُ امرأة غير التي عرفتُها، وكانت تباتُ بين ذراعي. كأنها أصبحت تُفضِّل "مكياج" أفلام الرعب. هذا الجسد الجاف الذي يفتقد الدفء قبل الماء. كانت عيونها تزوغ مني، لكنها تتفحصني بغير انطباع، لا هي مهتمة ولا هي تعمدت التجاهل. أهذه حقًّا سميرة؟!

منزل كبير يبدو مهجورًا، حتى إسماعيل نفسه الذي وافق على أن ننتمي إلى المجموعة، لم نره منذ وصولنا. كلٌّ يجلس في غرفته، عدا سميرة التي تجلس في صالة كبيرة تشاهد التلفزيون، وتمسك بيمينها فنجان قهوة، ويهتز الفنجان بين أصابعها، كأنها ترتعش من "لطشة برد"، بينما تمتد يداها إلى طبق صغير على يسارها تأكل منه "لب" كأنها في سهرة لطيفة.

نظرت إلي باستخفاف وصوت "اللب" يتقافز من بين أسنانها، وأشارت بيدها إلى إحدى الغرف.

وضعتُ حقيبتي داخل الغرفة المُشار إليها، ودفعني الفضول لأن أعرف ما يجري الآن خلف هذه الأبواب المغلقة. أعرفُ أنها تعشق أن تبدو عالِمة بما لا يعرفه غيرها، يتعثر لسانها من سرعة الكلام، حين يدب حماس "المنظرة" في دمائها الزرقاء، وترى الانبهار بما تقول في عيون الناس، وكلما تفنجلت العيون أكثر وزاد الانبهار، استرسلت في الحديث وزادت وفاضت.

دخلتُ المطبخ الثانوي الصغير القابع بين الغُرف، وتفننتُ في صناعة فنجان قهوة مركز، على الطريقة التي تحبها وتشربها بإدمان. جلستُ إلى جوارها وسألتُها:

- طبعًا أستاذ إسماعيل والزملاء عندهم اجتماع مش كده؟

- مبقاش إلا المستجدين كمان! والنبي متعملش نفسك عارف أي حاجة عشان انت فعلًا متعرفش حاجة. مش معنى إنك دخلت هنا إنك فاهم ولا حتى بتفهم.

- أومال يعني انتي اللي فاهمة ولا عارفة حاجة؟ بطلي غرور على الفاضي بقى وانتي آخر واحدة بتفهم أي حاجة حواليها.

لمعت عيناها تلك اللمعة التي أحفظها، وأعرف أنها بداية لمحاضرة طويلة. وَضَعَتْ رِجلها "المعصعصة" فوق الأخرى وأسندت ظهرها إلى الكنبة، وأمسكت فنجان القهوة الذي

t.me/qurssan

صنعتُه لها، قرَّبته من أنفها لتتأكد من تركيز البُن به، ثم رشفت منه الرشفة الأولى، التي يبدأ معها الحديث.

إذًا، هذا هو سبب الغيوم التي تعلو المكان. فتَّشتْ سميرة غرف المجموعة كلها. كل هؤلاء يكتبون مذكراتهم! وكنتُ أظن أنني وحدي أفعلها. كل هؤلاء لديهم أوامر بألا يسجلوا تدريباتهم بأي شكل، وكلهم عصوا الأوامر! ماذا لو علم إسماعيل أن العضو الجديد أيضًا يكتب مذكراته! هل هي "شوطة" أو "موضة" تسري في جيل بعينه ومارستُها أنا بتلقائية؟ مارسناها كلنا دون اتفاق مسبق، أم هو سلوك دفاعي تفريغي يتبعه كل من يقع تحت ضغط؟ يكتب مشاعره وما يمر به، كي يساعده ذلك على تفريغه من العقل ثم النسيان، وربما يريد أيضًا أن يسجله على الأوراق حتى يعود إليها كلما أظلمت الذاكرة، فلا ينسى خيانة الجبناء أبدًا؟ من يريد النسيان يكتب، ومن يريد التذكُّر يكتب! حقيقة ساخرة.

لا أعرف أين سأخفي هذه الأجندة إن كانت سميرة لها كل السلطات في هذا المكان، سميرة لديها أوامر بأن تمشِّط الدواليب والحقائب والمكاتب دوريًّا، حتى لا يبدأ أحدهم في متابعة الكتابة من جديد. ستجد لذتها في أن تقلب الغرف رأسًا على عقب وتستبيح ما بداخلها. إن كانت تستبيح الأشخاص، أفلا تستبيح الأشياء، والكلمات، والأسرار؟ وأنا على عكس الآخرين، سأدعها تقرأ هذه الفصول، سأعطيها لها بنفسي، ولكن بعد أن أنهي اتفاقي مع محجوب، بعد أن نقول لإسماعيل أمام المجموعة كلها إنه كاذب ونصَّاب.

سأجعلك ترين نفسك بعيوني يا سميرة، ترين كيف كنا نعيش أنا وأمك وابنتك خلف زجاج المرآة، التي لا ترين فيها إلا صورتك وحدها. كان الزجاج شفافًا ويمكن لعينيك أن تكونا ثاقبتين وتنظرا إلى ما خلف الزجاج، لكنك ترقبين كالصقر وقتما تريدين، وتتعامين كالخفافيش وقتما تريدين.

أوشكت ليلتي الأولى في القيلا على الانتهاء، لا يقطع صمت الليل سوى صرصور الحقل وصوت كروان، لا أعرف كيف شعر بالأمان بالقرب من كهف الخفافيش هذا، إلى درجة أن وقف واطمأن وغرّد. دخان سجائري يكوِّن أشكالًا مخيفة أمام ضوء الأباچورة. أعجبتني اللعبة، ذكَّرتني بـ نور وكيف قضت ليلتها في بيت عمتها. نور لم تبتعد عني أبدًا، مذ كانت تمص إصبع يدها، وتمشي خطوتين ثم تنكبُّ على مؤخرتها ضاحكة.

يتسلل النعاس إلى عيني، وصور نور منذ كانت رضيعة لا تغادر خيالي. سآتي لرؤيتك في الصباح يا نور، لن يمر يوم من عمري وعمرك دون أن نلتقي فيه يا حبيبتي. سنلتقي يا نور ما دام في العمر بقية...

t.me/qurssan

جمال بربنط

لا تحمل الصفحات الأخيرة من الأجندات أي دليل على أي شيء، فقط مزيدًا من الارتباك والحيرة، مزيدًا من الزوايا المختلفة للأمور، ومزيدًا من الحقائق المؤلمة والآمال المبنية على مزيد من الوقت والعُمر. هل فاجأهم الموت فأبطل خططهم جميعًا، وخطف منهم إسماعيل؟ هل قاتل إسماعيل شخصٌ من خارج المجموعة؟ كيف دخل هذا الغريب إلى هنا؟ أم أنه أحد أفراد "أ" وكتب صفحته الأخيرة بلا أي دليل، كي لا يترك خلفه شيئًا.

إلى متى سأظل مشغولًا بإسماعيل وماذا يقول وماذا يفعل؟ ضاع عمري بجوارك يا إسماعيل، وأنا أصنعك أنت، وأسجل في ذاكرتي مواقفك أنت، وذكرياتك أنت، وتدريباتك واهتماماتك ومشاكلك، وما يسرُّك وما يضيرك.

ماذا عني أنا الآن؟

هل عشتُ دهرًا كاملًا مخدوعًا؟ هل قضيت عُمري بحثًا عن سراب وفي خدمة شبح؟ هل ضاعت سنواتي في سبيل اللاشيء؟ هل أقتله الآن مرة أخرى، أم أعتذر له عن أني صدَّقت كل هذا الهراء المكتوب هنا عن صديق عمري وعِشرة طفولتي؟ أيًّا ما كان ما سأصل إليه، لا بد أن أبدأ الآن بخطوة واحدة فقط: ماذا سأفعل في هذه الجثة الراقدة على بُعد أمتار؟ ثم ماذا سأفعل في هذه الأوراق المكتوبة بخط أصحابها؟ لماذا لم يبحثوا عنها ولم يأخذوها معهم!؟

أشد ما يكره إسماعيل أن يسمع أصوات التلفزيون عالية، أو أن يرى أحد الأفراد يفتح جهاز التكييف على درجة حرارة شديدة البرودة، حتى وإن كانت هذه هي رغبة صاحب الغرفة. لم أرَ انتقامًا أشد من هذا؛ أغلقتُ جميع نوافذ الڤيلا وبلكوناتها، شغَّلتُ جميع التلفزيونات بصوت مرتفع، والتكييفات بأعلى طاقة تبريد لديها. وأشعلت البخور في كل غرفة بالڤيلا، وأغلقتُ الباب خلفي إلى غير نظرة إلى الوراء.

لعدة ساعات لم أتمالك نفسي من الضحك، جلستُ على ركبتي وأنا أضحك، حتى ارتميتُ على وجهي. أخذتُ الأچندات كلها إلى قطعة أرض فضاء قريبة من الڤيلا وأشعلت فيها النار. كلما ارتفعت الألسنة وتوهَّجت ازددتُ ضحكًا. وقفتُ إلى جوار النار وخلعتُ ملابسي إلا قطعة واحدة سترتني، فعلتُ كما "الهنود الحمر" في الأفلام القديمة، أدور حول النار وصوت ضحكاتي يرنُّ إلى السماء. وضعت يدي على فمي في

t.me/qurssan

حـركات سريعـة متقطعـة، لأصـدر ذلـك الصـوت المضحـك أيضًـا واواواواواوا. رأيـتُ الأسـماء تحـترق. عـينُ عـلي احترقـت وميـم باسـم وواو محجـوب وياء سـميرة وحـاء حبيبـة ونـون ناديـا ودال سـيد وسـين سـامية... المجموعـة كلهـا احترقـت.

النـار لـن تبقـي شـيئًا، وأنـا أدور. لـن يكـون لهـذه المجموعـة أثـرٌ بعـد الآن، وأنـا أضحـك وأدور. لـن تصبـح "أ" مجموعـة يخلدهـا التاريـخ، كـما كانـت تظـن، ولـن يسـمع بهـا لا قـاصٍ ولا دانٍ، فالنـار لـن تبقـي ولـن تـذر، وأنـا أضحـك وأقـول واواواواوا... وأدور...

نبذة عن الكاتبة

هبة أحمد حسب

كاتبة صحفية وقاصة. صدر لها مجموعة قصصية بعنوان "جامع البنات". عملت مترجمة ومديرة المكتب الإعلامي بساقية الصاوي، ومحررة بمواقع mbc وThe Cairopost ورصيف22 ونون وغيرها.

t.me/qurssan

إلى متى سأظلُ مشغولًا بإسماعيل وماذا يقول وماذا يفعل؟ ضاع عمري بجوارك يا إسماعيل وأنا أصنعك أنت وأسجل في ذاكرتي مواقفك أنت وذكرياتك أنت وتدريباتك واهتماماتك ومشاكلك وما يسرُك وما يضيرك.. بالطبع لا أستطيع أن أحمل رجلًا يزيد عن 95 كيلو، لا سيّما رجلًا مقتولًا. أحضرت طبق الماء والصابون إلى الغرفة وأمسكت بالمقص وأصابعي تهتز داخل فتحتيه، ثم شققت الجلباب حول السكين كي لا أضطر إلى إخراجه من الجسد حتى أتصل بالشرطة. كيف لم ألحظ يومًا أن كفوف يديه وقدميه ضخمة إلى هذه الدرجة! وأن رأسه كبير كرأس ثور وشفتيه متدليتين ككلب بيتبول. غسلتُ الجسد كاملًا من لزوجة الدماء وعطّرته بالمسك كما كان يفعل بعد الحمام، وألبسته جلبابًا نظيفًا. رائحة البخور في الغرفة تطغى على رائحة القاتل، فلا أستطيع أن أتتبع رائحة بعينها. أنا أعرفهم جميعًا وأميّز روائحهم، رائحة عرق كل منهم ورائحة عطره المحبب وعطره غير المحبب، بل ونوع البخور المفضل لديه. والغريب أن هذا البخور المشتعل في الغرفة هو المفضل لإسماعيل نفسه. هل يكون أشعله قبل أن ينقض عليه القاتل؟

استمتعت بقراءة هذه الرواية وبناء شخصياتها المحكم بأسلوب يفيض رقة وينساب عذوبة وتحليلاً لأدق تفاصيل الشخصيات متشابكة لتصنع في النهاية أقدارها.

مع أطيب أمنياتي بدوام إبداعات ابنتنا هبه أحمد حسب

عبدالرحمن أبوزهره

ISBN 978-977-313-752-6

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات